أبناؤنا جواهر

ولكنَّنا حدَّادون

@Ahmedyassin90

تصوير
أحمد ياسين

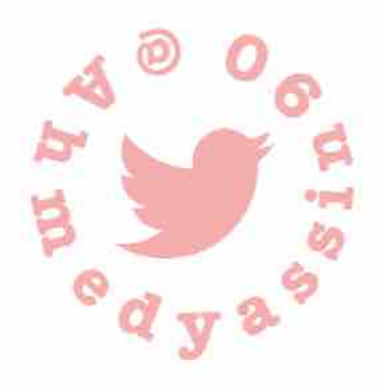
د. مسلم تسابحجي





بسم الله الرحمن الرحيم

أبناؤنا جواهر
ولكننا حدادون


@Ahmedyassin90





د. مسلم تسابجي

أبناؤنا جواهر ولكننا حدادون







2012=1433

دار الفكر - دمشق - برامكة

٣٠٠ ٩٧ ٩٤٧ ٠٠٩٦٣

٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣

http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

أبناءنا جواهر ولكننا حدادون

د. مسلم تسابحجي

الرقم الاصطلاحي: ٢١٢٦.٠٣٦

الرقم الدولي: ISBN:978-9953-511-38-2

التصنيف الموضوعي: ٣٠٣ (العمليات الاجتماعية)

١٣٦ص، ١٢ × ٢٠ سم

الطبعة السادسة: ١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م

ط١ / ٢٠٠٨م

إهداء

إلى من ربتني فأحسنت تربيتي وكان شعارها في التربية

"دعيه ينطلق"

أمي الحبيبة زاهرة

إلى من كنت بؤبؤ عينه وكان سند حياتي

أبي الغالي محمد ياسين

إلى رفيقة دربي وشريكة روحي

وتلميذتي التي علمتني أكثر مما تعلمت مني

زوجتي الرائعة منال

إلى المدربين الحقيقيين الذين لولاهم ما كان هذا الكتاب

أبنائي ساكني قلبي

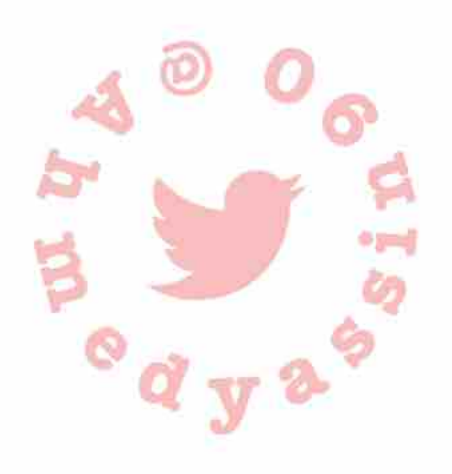
أحمد ياسين

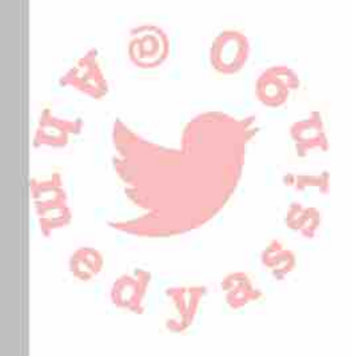
أحمد معاذ

زاهرة

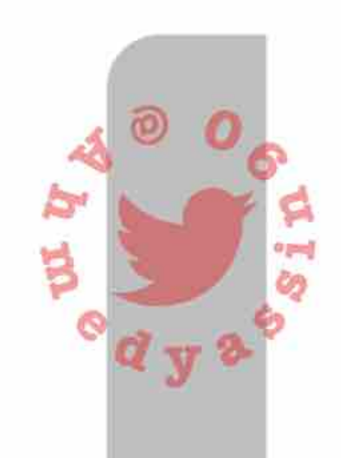
فاطمة الزهراء

خالد

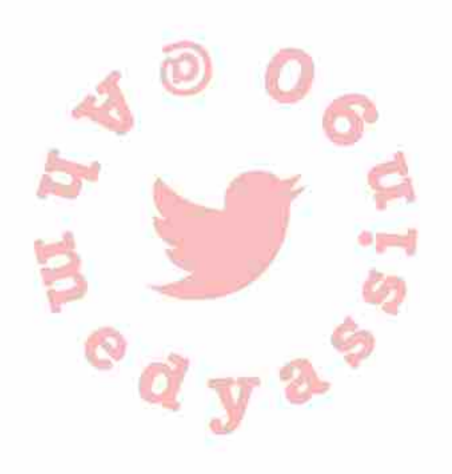

@Ahmedyassin90



المحتوى




@Ahmedyassin90


@Ahmedyassin09

مـن الأمور المدهشـة في الحياة الطُـرَف والقصص والحكايا والأمثـال الشـعبية التي يتناقلهـا الناس فيما بينهـم ،ومنذ كنت صغيراً كان لدي سـؤال محـير ، وهو :من يؤلـف النكات،ومن أين تبدأ القصص؟ وكنت أفكر أحياناً عندما أسمع نكتة ما، أن أسأل راويها ممن سـمعها ثم أتابع حتى أصل إلى مصدر النكتة. ولكني لم أفعـل، ربما لقناعتي منذ ذلك الحـين بأني لن أصل إلى شيء. وكما تعلمون فإنه من العبث محاولة معرفة أين بدأت نكتة معينة أو قصة طريفة أو حتى إشـاعة ما، وحين أردت أن أكتب مقدمة هذا الكتاب فإني شعرت بالشعور نفسه وتذكرت سؤالي المحير ذاته: من يؤلف النكات، ومن أين تبدأ القصص؟

للوهلة الأولى قد يبدو أنني أنا شخصياً مؤلف هذا الكتاب، وأن قصة كتابته تبدأ يوم أمسـكت بالقلم وبدأت أسـطر بعض الفِكَر،ولكن بعد النظرة العميقـة خطر في بالي أن القصة بدأت يـوم رزقـت بطفـلي الأول، وبنظرة أعمـق وجـدت أن القصة ربـما بدأت حـين تزوجـت، وبالتدقيق أكثر وجـدت أن الأولى أن تكـون بداية القصة حـين كنت طفلاً صغـيراً، وكان والدي -رحمـه الله- ووالـدتي -حفظهـا الله- يتعاونـان في تربيتي، ثم استرسـلت مع طريقتي نفسـها في التفكير لأصـل إلى جدودي وجـداتي ومن ثـم إلى مزيد من الأجـداد، وكم كانت دهشـتي

شـديدة عندمـا اكتشـفت أن قصـة كتـابي ترجع إلى مئـات من السـنين التي تراكمـت في أثنائها طرق ومهـارات تربوية مختلفة متباينـة ومتناقضة بعضها مفيد وغالبها لا يسـمن ولا يغني من جوع.

تذكـرت والدي -رحمـه الله- وتذكرت معـه عصا الخيزران التي كانت ترقد بسـلام فوق خزانته إلى أن أرتكب مخالفة يراها والدي شـديدة فكان يتصل بي ويطلب مني أن أجهز الخيزرانة ريثـما يـأتي، وكانت فـترة الانتظـار هي الأشـد رعباً وكثـيراً ما تدخَّلـت جهـود دبلوماسـية حثيثـة مـن جـدتي -رحمهـا الله- لمحاولة حل المشـكلة بالطرق السلمية، وكانت مساعيها تنجح غالباً، خاصة أنني الطفل المدلل في الأسرة، كيف لا وأنا الصبي الوحيد الـذي جاء بعد أربع بنات (جئت على شـفحة ولفحة) ولا أدري مـا الشـفحة ولااللفحـة، وإذا كان أحد القـراء لديه عادتي نفسـها في تتبع أصل الأمور فلعله يقوم مشـكوراً بتقصي أصل الشـفحة واللفحـة، المهم مع أن الوسـاطة الدبلوماسـية كانت غالباً مـا تجدي إلا أنني كطفل صغـير -في ذلك الوقت- كنت أتلقى شحنات من الرعب الذي زرع في قلبي تجاه والدي وتجاه الخيزرانة، وتمر الأيام وأجد نفسي أباً لأربعة أبناء، صبيين وبنتين (ياسـين- معاذ- زاهرة- فاطمة) والخامس أو الخامسة -لسـت أدري- قـد بدأ مشاكسـاته وهو مـا زال في بطن أمه*، وكنـت قد أقسـمت في سري أني لـن أعامـل أولادي بالطريقة التي عوملت بها، ولكن الإنسـان ينسـى .وكـم كانت صدمتي بالغـة يوم وعيـت فجأة أن لـدي خيزرانة موضوعـة في مكانها المحـدد في منـزلي، وأن أبنائـي (الصبيان المسـاكين) قد تجرعوا مـن مرارتي ومرارتها ما كان كافياً ليحوّل حياتنا إلى جحيم، لقد كانت صدمتي بالغة لأسباب عدة:

(*) عند مراجعة الكتاب كان خالد (الخامس) قد انضم للمجموعة.

١. لأني اكتشفت أن التاريخ يعيد نفسه.

٢. لأني اكتشفت أني حنثت بقسمي.

٣. لأني اكتشفت كم كان والدي -رحمه الله- يحبني ،وأن الطريقة التي كان يستخدمها ما هي إلا وسيلة خاطئة للتعبير عن حبه ورغبته في إيصالي إلى أفضل ما يمكن.

٤. لأني اكتشفت أنني تحولت إلى (بعبع) في نظر أولادي وأنهم ينتظرون بفارغ الصبر لحظة مغادرتي المنزل ليتنفسوا الصعداء، لقد كانت صدمة لي أن أعي أن ذهابي -وليس قدومي- هو مصدر سعادة أبنائي.

٥. لأني اكتشفت أن النتائج التي وصلت أسرتي إليها لم تكن هي التي أريدها، ومع ذلك فقد كنت أنا المسؤول عن تلك النتائج.

٦. لأني مع كل ما اكتشفته كنت أقف حائراً لا أدري ماذا أفعل ومن أين أبدأ؟!.

٧. لأني اكتشفت أن أبنائي جواهر، ولكنني كنت حداداً، استخدمت معهم مطرقة الحداد وعضلات الحداد ونار الحداد.

- في ذلك اليوم قررت قراراً مصيرياً يصلح أن يكون بداية لا بأس بها لمضمون هذا الكتاب، لقد كان القرار هو أنني سأعتزل الحدادة، وأبدأ بتعلم مهنة الصائغ، وأدوات الصياغة، وحساسية الصائغ ورقته.

ولكن هل كان الأمر سهلًا؟ اللهم لا وألف لا.

هل أتقنت هذه المهنة الراقية؟ اللهم لا وألف لا.

هـل كان هناك عوائـق؟ بالطبع وكان أكبر عائـق هو إتقاني لمهنة الحـدادة التي ورثتها عن آبائي وأجـدادي كابراً عن كابر. وكأني حين قررت التخلي عن هذه المهنة ،لم ترض هي أن تتخلى عني، وبقيت مهـاراتي القديمة تتدخل في تعلمي لمهنة الصياغة ومـا زالت إلى يومـي هذا ، ولو شـئتم لأخبرتكم بـما فعلته من يومين أو ثلاثة ....ولكن

لقد ظهـر الفـرق، وكان فرقـاً جوهرياً، فقد كنـت أمارس مهارات الحـدادة تحت عنـوان :واجبي التربوي،أمـا الآن فقد صرت أمارسها تحت عنوان:أخطائي التربوية.

وقد احتاج مني هذا التفريق إلى قدر غير قليل من الشجاعة والصـدق مع النفس،كما احتـاج إلى مقدار كبير مـن التواضع، والأصعـب من ذلك كلـه هو فـترة التخلص من الإرسـاءات القديمة وإعادة برمجة نفسي من جديد، ولكم أن تتخيلوا صعوبة تحول الجزار "أبو كاسـم" إلى الدكتور "أبو كاسـم" الاخصائي في الجراحة التنظيرية للعين. أعتقد أن أحداً لن يسلم عينيه لأبي كاسم، ولكن فرصة كاسـم في إتقان المهارات الجديدة ستكون أكبر بكثير.

المهـم أني بدأت تلك الرحلة، واسـتغرقت منـي حتى الآن حوالي أربع سـنوات مع كثـير من الصراع في داخـلي وأنا أمزق قناعاتي الباليـة ومهاراتي الرّاضّة، وكثير مـن الصراع الخارجي مع من حولي ممن ما زال متمسـكاً بإرثه ،وما زال يلقي باللائمة عـلى هذا الجيـل وعلى المـدارس الفاسـدة ورفاق السـوء وعلى التلفـاز وشـبكة الاتصـالات (الأنترنـت) وعلى زوجتـه التي لم تعـرف كيـف تـربي الأبناء،وعـلى حظـه التعيـس ،وربما على المؤامرات الخارجية التي تحاك لإفسـاد أبنائه، ولم يدر المسـكين أن المشكلة في قناعاته،وفي أدواته ومهاراته.

ما الذي ساعدني خلال هذه الفترة ؟

أمور ستة كان لها الفضل بعد توفيق الله عز وجل:

١. قراءة مجموعة من الكتب الحديثة في مجال التربية وعلى رأسها كتاب (العادات السبع للأسر الأكثر فعالية)، ومع أن الكتاب قد لا يعده البعض كتاباً في التربية لأنه لا يذكر لك مهارات تربوية تفصيلية إلا أنه عندي يعد من أهم كتب التربية لأنه ينسجم مع فهمي الجديد الذي طرحته مرة في إحدى المحاضرات حين قلت للحضور:

إن مصطلح تربية الأبناء مصطلح مضلل؛ لأنه يوحي بأنك ستمسك بأدوات معينة وتتجه بها إلى أبنائك لتربيهم، لتؤدبهم، لتصلحهم. وما صرت أفهمه عن التربية أنها تربية لذواتنا وتوجيه الأدوات التربوية لإصلاح أنفسنا وجعلها قدوة صالحة يتعلم منها الأبناء بلسان الحال وليس بلسان المقال.

٢. حضور مجموعة من الدورات التدريبية التي زودتني بمجموعة من المهارات الفعالة جداً، لأنها كانت مهارات تعمل نحو الداخل ، فكّكتني وركّبتني من جديد، وعلى رأسها دورات البرمجة اللغوية العصبية ودورة العادات السبع للناس الأكثر فعالية والتي كانت تركز دائماً على أن التغيير يبدأ من الداخل: من القناعات،من الأفكار،من القيم،من المهارات.

٣. زوجتي العظيمة التي أشهد أنها كانت خيراً مني في امتلاك تلك المهارات الجديدة مع أنني كنت أنا مدربها، ولا عجب فكم من تلميذ فاق أستاذه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه،ولعل من الأسباب أن زوجتي كانت أقرب إلى أن تكون (كاسم) من أن تكون(أبو كاسم)،لذلك كنت أعلمها

المهارة فتطبقها مباشرة فأتعلم من تطبيقها ما لم أكن أفهمه عملياً.

٤. احتكاكي بمربّ فاضل كان قد سبقني بسنوات وخرج من صندوق إرثه، وحقق على أرض الواقع نتائج تربوية مذهلة، كانت أصدق شاهد على مصداقية الطرق التي يستخدمها، وأكبر دليل على ضعف وتهلهل الطرق الموروثة السائدة رغم شعبيتها وانتشارها وتغلغلها في ثقافتنا وفي عقولنا وأعصابنا. وكان شعاره في التربية : أعطِ أبناءك المزيد من الحرية، أطلق طاقاتهم وسع خياراتهم.

٥. الاستشارات التربوية التي كنت أقدمها كانت تريني أسراً تابعوا في الطريق القديمة التي كنت أسلكها وتوغلوا فيها إلى أن وصلوا إلى طرق مسدودة،وانتهى بهم السعي إلى أمراض نفسية وعقد اجتماعية عندهم أو عند أبنائهم أو عند الطرفين معاً وهو الأغلب.

لقد كنت أرى أين كان يمكن أن أصل لولا لطف الله، ومن خلال مساعدة تلك الأسر كنت أزداد قناعة وتمكناً من المهارات الجديدة.

٦. بعض المقالات التربوية التي بدأت أكتبها في مجلة تواصل، والتي ساعدتني على أن أبلور خبراتي الجديدة وأصوغها كتابياً ،وكان لهذه المقالات صدى طيب عزّز لدي المضّي قدماً، ثم قرأت مرة خلاصة عن كتاب لطيف لكين بلانشارد عنوانه(Whale Done) يتحدث عن تدريب الحيتان وكيف يمكن تطبيق هذه الاستراتيجية المميزة على تدريب الموظفين فاستعرتها ووظفتها في مجال التربية فكانت نواة الكتاب،ونواة الدورة التدريبية التي أقدمها بعنوان :التربية الفعالة. والاستراتيجية ذات الثلاث خطوات هي:

- **بناء الثقة.**
- **اصطياد الإيجابيات.**
- **إعادة توجيه السلبيات.**

وبعـد أن كتبـت الكتـاب ،أضفـت إليه مـا وجدته مناسـباً مـن مقالاتي التـي كنت قد نشرتهـا في مجلة تواصـل، ثم طبعت بعض النسـخ المبدئيـة ووزعتها على من أثـق بخبراتهم التربوية ليزودوني بنصائحهـم ،وقد أثلج صـدري إعجابهم بمضمون الكتـاب وطريقته كما اسـتفدت مـن ملاحظاتهـم ونصائحهم وقمت ببعض التعديلات، وتوسعت في شرح بعض الفقرات، أو ذكـرت رأيهم بجانب رأيي وتركت للقارئ الحق في أن يختار ما يعتقد أنه الأفضل .

وبعد ... فهل هذا الكتاب منهج متكامل في التربية؟بالطبع لا، وإنما هو مجموعة إضاءات مهمة وجدتها مفيدة حين طبقت عملياً، كما أنـه تركيز عـلى تبني منظومـة من المفاهيـم التربوية القائمـة عـلى التربية بالحـب والثقة والقـدوة والتعاطف وعدم الإكراه بدلًا من المنظومة التقليدية المنتشرة في بيوتنا ومدارسنا، والقائمـة عـلى العنـف واللـوم والعقـاب والشـدة والقسـوة والإكراه.

وكان مـن جملة الملاحظات التي جاءتني أن هذا الكتاب هو مجموعة مثاليات لطيفة حالمة غـير قابلة للتطبيق العملي ،إلا أنه مفيد في تعديل الكفة قليلًا نحو التوازن التربوي المطلوب، وأنه صفعـة لأولئك الذين سـدروا في طرقهم الشـديدة، ومع عدم موافقتـي على أن الكتاب مجرد مثاليات غير قابلة للتطبيق لأنني أنا شخصياً اسـتطعت أن أطبق الكثير مما فيه ولمست نتائج هذا

التطبيق كما أنني رأيت من استطاع أن يطبق ما جاء في الكتاب بل وأكثر منه، إلا أني أقبل أن يكون الكتاب تعديلًا للكفة نحو التوازن، وأنصح من أراد أن يستفيد من هذا الكتاب أن يناقشه مع من يثق بخبرتهم وأن يحولوه إلى ورشة عمل، وأن يجهزوا أنفسهم لدفع الثمن، ثمن التغيير*، لأنه كثيراً ما مررت في أثناء رحلتي بمواقف كان أسهل شيء علي أن أرتد على عقبيّ وأن أصرخ بأعلى صوتي:

"بلا تربية حديثة بلا بطيخ"

كانت هذه مقدمة للكتاب حاولت خلالها أن أقص عليكم قصته من بدايتها فإن استطعتم أن تحددوا ما هي البداية فليتكم تخبرونني لأنني مازلت في سؤالي المحير:

من ساهم بتأليف هذا الكتاب وأين تبدأ قصته؟!

(*) جاءني أحد الآباء بعد حضوره للدورة ومحاولته مصادقة ابنته واللعب معها وفي وجهه مجموعة من الخدوش التي سببتها له ابنته دون قصد، وهما يتصارعان، وأخبرني أنه بقي ثلاثة أيام غاضباً منها. (هذا بعض الثمن).

في لقـاء حـي و مبـاشر نظمته إحـدى الفضائيـات العالمية، استُضيف ذلـك المـربي الحكيـم المتخصـص في خفايـا النفس البشريـة و خباياهـا، الذي نجح في تنشـئة جيل متوازن سـليم فعال، بدءاً بأولاده و مروراً بطلابه و تلامذته، و انتهاءً بكل من تأثر بأفكاره و كتبه و مقالاته. و كان السؤال الأول:

- مـن أين اكتسـبت كل هـذه المعارف و الخـبرات التربوية العملية الفعالة؟

- الحقيقـة أن الأمـر بدأ منـذ نحو عشرين سـنة، حين كنت أعاني مـن صعوبات جمـة في تربيـة أولادي وخاصـة المراهقين منهم، شـأني شـأن كثير من الآبـاء و الأمهـات الذيـن اعتادوا أن يسـتخدموا الوسائل التربوية نفسـها التي استخدمها معهم أهلهـم مـن قبـل، كنـت أفعل الـشيء نفسـه الذي اعتـدت أن أفعله، فأحصل على النتيجة نفسـها التي طالمـا حصلت عليها، ثـم بدأ التغيير الجذري في ذلك اليـوم الذي دعاني فيه صديق لي لزيـارة عرض لمدربي الدلافين. جلسـت يومهـا مثل أي متفرج عادي أشـاهد ذلك العرض المثير، و انبهرت بالقفزات الرائعة و الاسـتعراضات المنظمة التي أدتها تلـك الحيوانات الضخمة بمجرد أن يشـير المدرب بيديـه، وعندما انتهـى العرض، ضج المكان بالتصفيق الحاد وتعالت صيحات التقدير من الجمهور،

ولكني بقيت في مكاني مذهولاً تماماً، فقد استحوذ على تفكيري سؤال:

• كيف تمكن هذا المدرب من إقناع هذه الدلافين بأداء تلك الحركات المنظمة و تحقيق هذه النتائج المذهلة؟ .

حيرني السؤال، فلم ألحظ الجمهور و هو يغادر المكان، وبقيت وحيداً أرقب المدرب وهو يكافئ دلافينه على أدائها المتميز.

اقتربت من المدرب وعرفته بنفسي، ثم فاجأته بطلب غريب:

- أريد منك بعضاً من الدروس الخصوصية !

ظن أني أمزح و لكن حين لمس إصراري وجديتي تغيرت لكنته وسألني:

• بالله عليك، قل لي: ماذا تريد مني بالتحديد؟ .

- قلت له : أريد أن أعرف السر !

- أي سر ؟

- السر في أن هذه الدلافين تفعل كل ما تأمرها به، كيف استطعت أن تروض هذه الحيوانات الضخمة و تجعلها طوع بنانك ؟ هل تسيطر عليها بشحنات كهربائية أو أنك تتركها تجوع حتى تنفذ ما تأمرها به؟ أو لعلك تستخدم السوط أو...

قاطعني المدرب و قد بدا الاستياء على وجهه:

- ياللعار، أنا أربأ بنفسي أن أستخدم هذه الأساليب الوحشية في تدريب دلافيني العزيزة .

شعرت أني أخطأت فحاولت الإصلاح قائلًا:

لا تسـئ فهمـي فأنـا أعـاني مـا أعانيـه في تربيـة أولادي وترويضهـم وتعديـل سـلوكهم، وخطـر في بالي أنـه يمكن أن يكـون هناك أمور كثـيرة أتعلمها منك، ولعل هناك تشـابهاً بين الأولاد وهذه الدلافين الرائعة، فهل يمكن أن تساعدني؟

انفرجت أساريره و ابتسم قائلًا:

- هذا حسن، ولكن في البداية عليك أن تعرف أن التدريب بالإكـراه والعنـف لا يـؤتي ثـماره، فهـذه الحيوانـات تسـتطيع أن تفـترس مدربهـا في لحظة واحـدة، **والعنف لا يـؤدي إلا إلى الخوف، والخوف يشـل الحركة، لذلـك أول خطوة في التدريب الحقيقي هي إزالة الخوف** من العلاقة بينك وبين المتدرب سواء كان حوتاً أم بشراً.

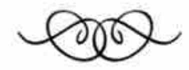
- ولكن ماذا لو أخطـأ المتدرب ولم يتعلم الدرس، أو لم يؤد المطلوب! منه؟ ألا تعاقبه؟

أنا لا أنظر إلى المسألة من هذه الزاوية، و أستغرب منكم أيها المربون فأنتم مهمومون فقط بالتعامل مع الذين لا يستجيبون، يبـدو أنكم يا مـدربي البشر تعملـون في الاتجاه الخاطـئ، فأنتم تهدرون طاقاتكم وأوقاتكم في التعامل مع الذين لا يستجيبون، إنكـم في الحقيقة تحاولـون أن تداروا فشـلكم بمعاقبة الذين لا يستجيبون، إنكم تحاولون تغطية قلة مهارتكم ونقص خبرتكم بادعاء أنكم لم تفشلوا في التربية، ولكن الأبناء هم الذين فشلوا، ثـم تتفننون بعـد ذلك في إيجاد الأدلـة الزائفة على هـذا الادعاء الخاطئ، و تركزون على وسائل معاقبة المقصرين.

خذ اقرأ هذا المقال بعنوان :(الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون) ثم دعنا نتابع حديثنا.



أول خطوة في التربية والتعليم إزالة الخوف



الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون :

حين يضرس الأبناء، أي: تظهر منهم بعض السلوكيات الخاطئة أو الانفعالية يغفل الآباء والأمهات عن دورهم الأساسي في خلق المشكلة، فالأبناء مرآة صافية تعكس بدقة نوعية الممارسات التربوية التي يتلقونها في البيت أو المدرسة، فحين يجنح المربون إلى التسلط، ويحاولون زيادة السيطرة على الابن، و يتدخلون في كل كبيرة و صغيرة من شؤونه، ينشأ ضعيف الشخصية و مؤهباً لمشاكل نفسية لا حصر لها .

و حين يفرطون في محاولة الحماية و يخافون على الابن من نسمة الهواء، و يخافون عليه من أي شيء، ينشأ الابن ضعيف الثقة بنفسه و مؤهباً لرهابات اجتماعية كثيرة .

و حين يهمل الطفل و يترك دون مكافآت أو تشجيع أو كلمات رضا واستحسان وقبول فإنه يفقد الحافز والدافع للعمل و الدراسة و يصبح كسولًا خاملًا .

وحين يتراخى المربون في تربية الطفل، و يبالغون في تدليله و الاستجابة لمطالبه كلها ينشأ الابن غير مكترث و تنمو عنده اللامبالاة و الأنانية .

وحين يستخدم المربون أساليب القسوة و العنف البدني و النفسي ينشأ الطفل خائفاً متردداً و يزرع في قلبه الخوف و الرعب الذي يولد الحقد و الكراهية .

وحين يكثر المربون من محاولة إصلاح الابن عن طريق الإقناع و الحوار المنطقي يمل الابن وتفقد النصائح والمواعظ معناها ويصبح الابن متنمراً هازئاً لامبالياً بكل ما يلقى على مسامعه من حكم ومواعظ .

وحين يكون المربون مذبذبين مضطربين يتصرفون بأشكال مختلفة تجاه السلوك الخاطئ نفسه فمرة يكافئون و مرة يعاقبون و مرة يصرخون و مرة يتوعدون و يهددون ، فينشأ الطفل شديد التناقض دائم القلق لا يستطيع تمييز الخطأ من الصواب.

وحين يفاضل الأهل بين الأولاد و يقارنون و يفضلون أحدهم على إخوته تنشأ الغيرة و الكراهية و حب الانتقام .

تذكر دائمًا :

حين يضرس الأبناء فهذا يعني أن الأهل قد أفرطوا في أكل الحصرم

ومـــا أولادنا إلا مرآة لنـــا

في أحد الأيام كان هناك متسلقان يصعدان طريقاً جبلياً، وفجأةً وجدا نفسيهما وجهاً لوجه أمام دب ضخم، جلس أحدهما فوراً على الأرض وسحب زوجاً من أحذية الركض من حقيبته الموضوعة على ظهره وبدأ ينتعلهما بسرعة بعد خلع حذاء التسلق الضخم، فحدّق المتسلق الآخر فيه مندهشاً وسأله : ماذا تفعل ؟ هل تظن أنك تستطيع أن تسبق الدب؟

أجاب المتسلق الأول : ليس المهم أن أسبق الدب، المهم أن أسبقك أنت !

لا مانع في أن نفكر كما فكر المتسلق الأول في بعض السياقات، ولكن هذا النمط من التفكير غير مقبول وغير عملي عندما نكون في إطار الأسرة، كان الحل لدى المتسلق الأول هو الهرب ومحاولة إبعاد نفسه عن الموقف الصعب، وربط نجاته بقدرته على التفوق في المناورة وهزيمة الآخر الذي يصبح ضحية لذلك الموقف الخطير، ولكن عندما يكون هذا الآخر

جزءاً مني وأنا جزء منه، فلا معنى لنجاتي من دون نجاة الآخر إلا إذا قبلت بالقول الشائع : نجحت العملية ولكن المريض مات.

كثير من الآباء والأمهات يهربون من المواقف الصعبة، يهربون من تحمل المسؤولية ويحاولون إلقاءها على شخص آخر، لذلك يتركون كثيراً من واجباتهم التي لن يستطيع غيرهم القيام بها، يتركونها للروضة أو للمدرسة أو لمقدمي الرعاية أو لأي شخص أو جهة يرسلون الأطفال إليها .

كثير من الآباء والأمهات يأتون إلي في استشارة تربوية وهم يريدون منذ البداية أن يأتوا بابنهم المشاكس أو ابنتهم المراهقة لأصلحها لهم، ولكني أصر على أن أقابل الأهل أولًا، وفي أكثر الأحيان لا أقابل إلا الأهل، لأن الإصلاح والحل يبدأ من الأهل وليس من الأبناء .

لا تتبنّ طريقة "المقاول العام"

في القيام بواجبك التربوي

باستعمال أو استئجار "مقاولين فرعيين"

للقيام بالعمل الفعلي المتمثل

ببناء أبنائك أو تدريبهم وتعليمهم وتربيتهم

أحياناً أشرح واجب الآباء والأمهات في حمل المسؤولية بمثال بسيط :

هل حدث معك أنك اكتشفت -بعد انتهائك من ارتداء القميص- أنك قد أخطأت في تزرير الأزرار بحيث بقي زر في الأعلى ليس له عروة أو بقيت عروة ليس لها زر؟ بالطبع كل منا

مر بهـذه التجربة المضحكة وخاصة عندما نكون على عجلة من أمرنا،كيف نكتشف عادة أننا أخطأنا ؟!؟

طبعـاً عندمـا ننظـر إلى المـرآة ونـرى قبـة مرتفعـة و أخرى منخفضة.

ماذا نفعل عادة؟!؟

طبعاً سوف نحمل المسؤولية ونصحح الخطأ.

إلى أين نتوجه بأيدينا عادة عندما نريد إصلاح الخطأ؟!؟

طبعاً باتجاه أنفسنا، وبالرغم من أننا رأينا الخطأ هناك في المرآة إلا أن أي عاقل منا لن يتوجه بيديه نحو المرآة ليصلح الخطأ .

لماذا؟!؟

لأننا إذا توجهنا بأيدينا نحو المرآة فسنكسرها ونجرح أيدينا، وعندئذ لا نرى الخطأ بالرغم من أنه ما زال موجوداً!

أبناؤنـا -أيها الإخوة القراء- هم مرآة لنا نرى في تصرفاتهم انعكاسـاً لتصرفاتنا، نسـمع في كلامهـم صدى أقوالنـا، فإن لم يعجبنـا شيء فعلوه أو قالـوه فلنتجه إلى أنفسـنا ولنصلح منها، الطفـل العنيـد وراءه أم أو أب أعنـد منـه، والابنـة التـي تخاف وراءها عـادة أم تخاف أكثر منها، والابـن الانفعالي وراءه أسرة رضـع منهـا الانفعـال، والأطفـال الذيـن يصرخـون وراءهم أسرة لم يعوّد فيها الأبوان نفسـيهما ضبـط النفس وإدارة الذات وخفـض الصـوت، والطفل الذي يـضرب عندمـا ينزعج من شيء قد ضُربَ مراراً من قبل أبويه عندما انزعجوا منه.



مساكين أنتم يا أبناءنا، ما أكثر ما نعاقبكم بسبب أخطائنا !

مساكين أنتم يا أبناءنا! ما أكثر ظلمنا لكم بسبب تقصيرنا!

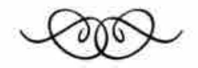
مساكين أنتم يا أبناءنا! ما أكثر ما نعاتبكم على ما تعلمتموه منا!

مساكين أنتم يا أبناءنا!ما أكثر ما نلومكم على أشياء نفعلها نحن أكثر منكم!

مساكين أنتم يا أبناءنا!كم مرة نضغط عليكم للقيام بأمور فشلنا نحن في تحقيقها!

مساكين أنتم يا أبناءنا!كم مرة نكسر المرآة ونرتاح من رؤية الخطأ المعشش فينا!

مساكين أنتم يا أبناءنا!كم نحملكم أوزارنا! ثم إنكم بعد ذلك كله تحبوننا وتصفحون عنا وترحموننا!!!



هل تعرفون لماذا تسامحوننا؟

لأن قلبكم الصغير ما زال أبيض لم يتلوث، ولأن الله سبحانه قد حباكم بغلوبولينات مناعية نفسية تقيكم جهلنا وضعف مهاراتنا وقلة حيلتنا، وعسى أن ننضج ونتعلم قبل أن ينتهي مفعول هذه الهبة الربانية.

لماذا نفعل ذلك بكم؟

لأننا نحبكم ونريدكم أن تكونوا أفضل منا، ومن الحب ما قتل!

فرق كبير بين أن نحمل المسؤولية، وأن نهرب منها ونلقيها على أبنائنا.

نهرب من المسؤولية عندما نقول: إن المشكلة هناك عند الأبناء وهم في حاجة إلى إصلاح بعض القطع أو استبدالها.

نحمل المسؤولية عندما نعي أن الحل بأيدينا، وأن الذي يحتاج إلى إصلاح واستبدال هو مهاراتنا التربوية وقدرتنا على ضبط أنفسنا .

تكمن المشكلة- كل المشكلة- عندما نعتقد أن المشكلة هناك (عند الأبناء)

بعكس متسلق الجبال الهارب ينبغي لنا -نحن المربين- أن نتحمل المسؤولية الكاملة في تربية أبنائنا، ولئن استعنا ببعض الدعم والمساندة الخارجية فإن هذا لا يلغي دورنا الأساسي ومشاركتنا الفعّالة في هذه المهمة الحساسة .

يحاول بعض الناس الهروب حينما يرون الدب على أمل أنه سيأكل شخصاً آخر بدلًا منهم ولكن الدب كالمسؤوليات،

فهي ستمسك بك إذا حاولت الهرب منها، لذلك من الأفضل لك مواجهتها بدلًا من الهرب .

لا تهرب! اثبت وتحمّل مسؤولية الأسرة بشكل كامل .

حول هذه المسؤولية إلى متعة .

وعندما تقوم بواجبك سيتعلم منك أبناؤك كيف يتحملون هم المسؤولية .

لا حلول سحرية؛ ولا خيارات سريعة؛ ولا تجدي عادة بعض المسكنات .

الأمر يحتاج إلى الوقت والصبر؛ ولكن في النهاية تصبح المسؤولية مقياساً لحياتنا وسعادة أبنائنا .

* * *

أنهيت المقال وتأثرت به كثيراً فالتفتُ إلى المدرب الذي سألني بابتسامة : هل مازلت مصراً على أسلوب العقاب.

- شعرت ببعض الحرج، و لكني قلت: أعتقد أن التعامل مع المقصرين بالنسبة إلي، هو مسألة بحث عن منبع لتقويم السلوك ليس إلا، والعقاب جزء مهم من التربية.

ولم أسمع منه سوى الصمت، و لم أكن أنا شخصياً مقتنعاً بما قلته للتو، وبعد قليل قال لي المدرب :

- باختصار، تتكون الاستراتيجية المثلى للتربية من ثلاثة محاور:

١. **بناء الثقة (Trust)**
٢. **اصطياد الايجابيات (+)**
٣. **إعادة توجيه السلبيات(-)**

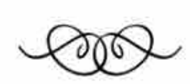


إن أبناءنا جواهر

ولكن الكثيرين منا

-نحن الكبار-

حدادون



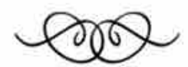
اصطياد الإيجابيات

التربية الفعالة

بناء الثقة

إعادة توجيه السلبيات

الاستراتيجية المثلى للتربية





بناء الثقة

أولاً. كيف نبني الثقة؟

١ . **إزالـة الخوف**: وذلك بالامتناع عن أنواع العقاب المادي والمعنوي كافة، وهذا يعني التخلي عن كل ما اعتدناه من أساليب اسـتخدامنا للقوة والعنف والإكراه والإجبار والتهديد واللوم والتأنيب والتوبيخ والشتائم و تقطيب الجبين والنظرة الشديدة ونبرة الصوت المرتفعة أو المنتقدة، لأن كل هذه الأساليب تبذر الخوف في النفس البشرية، والخوف يشل الحركة.

ومـن الملاحظـات التـي جاءتنـي: اعتراض عـلى موضوع تقطيـب الجبـين، قالت لي إحـدى المربيات الفاضـلات: لم تدع لنا شـيئاً نرهب به الأبناء. فابتسـمت وقلت لهـا: اطمئني فإنك مهـما بذلت جهداً لمنع تقطيب الجبين فإنها سـوف تظهر تلقائياً، ونحن نسـتعملها أكثر من المطلوب بكثير (ورأيي الشخصي أنه ليس استعمالها مطلوباً البتة).

كثير من الأهل مازالوا متمسـكين بأهميـة وجود "رهبة" في قلوب الأبناء تجاه الأهل، وينتقدون الابن الذي ليس لديه تلك الرهبة، والرهبة مشتقة من الخوف الذي يشل الحركة.

كثيرون يعتقدون أنهم لا يخيفون أبناءهم لأنهم لا يستخدمون الضرب أو التوبيخ، ولكن الأبنـاء يخافون من أمور كثيرة؛ منها

رفع الصوت، ومنها المقارنة، ومنها العقاب، ومنها المواعظ الطويلة، ومنها سحب الحب ومنها التظاهر بالحزن ومنها سحب القبول. أيها المربي اسأل ابنك: هل تخاف مني؟ ومالذي يخيفك عادة؟.

٢. الكف عن محاولة التحكم والسيطرة والوصاية والرغبة الجامحة في تحقيق نتائج معينة: وذلك بإعطاء المجال للأبناء ليمارسوا استقلاليتهم عن آبائهم وأمهاتهم شيئاً فشيئاً مع الاستعداد لتقبل حدوث مجموعة من الأخطاء لا بد منها وهي الثمن الذي لا فرار منه إذا أردنا لأبنائنا استقلالية نفسية ومعنوية و ذهنية و مادية.

استخدام أسلوب تربية النسور

يُعدّ الإنسان من أبطأ الكائنات الحية وصولًا إلى الاستقلالية عن والديه.

بعض الحشرات مثلًا تكون مستقلة منذ اللحظة الأولى لوجودها، بعض الحيوانات تستقل بمجرد أن تفقس عنها البيضة، وبعضها يحتاج إلى بضع ساعات أو أيام حتى يستقل، في حين ربما يحتاج بعضها إلى بضعة أسابيع أو أشهر، ولكني لم أسمع عن أي كائن حي يحتاج إلى سنوات طويلة حتى يستقل عن والديه باستثناء هذا الكائن العجيب المعقد (الإنسان).

ولعل السبب الكامن خلف هذا الاختلاف أن الإنسان هو الوحيد الذي جعل الله مسؤولية إيصاله إلى الاستقلال في عنق والديه وجعلها محلًا للتكليف، في حين تكفل سبحانه -وهو الهادي- ببقية الكائنات ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه ٢٠/ ٥٠] ولذلك نجد أن مختلف الكائنات تستقل وفق

أزمنة مقدرة ومحددة ودقيقة، كل حسب البرنامج الذي قدّر له ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل ٢٧/ ٨٨] .

أما الإنسان فنجد اختلافاً كبيراً في الزمن اللازم له ليستقل، فبينما يستقل بعض الأطفال عن الوالدين في سن مبكرة لاتتجاوز عشر السنوات إلى الأربع عشرة سنة فإن بعضهم الآخر قد لا يستقل حتى العشرين أو الثلاثين سنة، كما أن هناك بعضاً آخر يبقى معتمداً على والديه إلى أن يفقدهم، وعندئذ يبحث عن بدائل ليعتمد عليها، ويبقى معتمداً على الآخرين طوال حياته .

ويمكن أن نلخص دور الوالدين في تدريب أبنائهم على الاستقلالية في أبكر وقت ممكن، ومن ثم الانسحاب التدريجي من حياتهم مع البقاء بوصفهم مراجع وخبرات يستعين بها الأبناء عند الحاجة.

هذا ما تفعله النسور عادة، فالنسور تبني أعشاشها على قمم الجبال الشاهقة حيث العواصف والثلوج والأمطار، عندما يبني النسر عشه الضخم يضع في داخله مجموعة من الحصى و القطع الزجاجية، وحينما تولد صغار النسور يوفر لهم الآباء التغذية من طعامهم و حينما يكبر الصغار تبدأ الأم تدريجياً في زيادة مستوى قسوة الحياة في العش شيئاً فشيئاً فيبدأ الصغار بتسلق جوانب العش الضخم هرباً من هذه القسوة، و أخيراً تزيد الأم من قسوة الحياة في العش إلى أبعد حد فلا تترك لصغارها سوى الصخور والحصى والزجاج، وهنا يبدأ مفعول الحب القاسي. فعندما يبلغ الصغار قمة العش، تدفع الأم واحداً منهم ليندفع بسرعة شديدة إلى أسفل حتى يبدو الأمر كما لو كان سيلقى حتفه على الصخور المدببة، وفي اللحظة الأخيرة تندفع

الأم إلى أسفل وتتلقى صغيرها على ظهرها ثم تكرر الأم هذه العملية إلى أن يتعلم كل الصغار الطيران بأنفسهم، وهنا تنتهي وظيفة الأم، وتلك هي التربية الناجحة: أن تنتهي وظيفتك بعد أن تكون قد أعددت أفراداً أسوياء أكفياء ومستعدين لوضع بصمتهم في هذا العالم.

هذا ما تفعله النسور غريزياً بهداية الله سبحانه، ولكن... ماالذي يحدث مقابله في عالم الإنسان ؟

يولد الطفل ضعيفاً جداً معتمداً على والديه اعتماداً كلياً جسدياً، ذهنياً، مادياً ، عاطفياً :

جسدياً : لا يقدر الطفل أن يمشي أو يأكل أو يشرب أو حتى يقضي حاجته وحده .

ذهنياً : لا يقدر أن يفكر أو يتخذ قراراً حراً أو يكون له رأي.

مادياً : لا يقدر أن ينتج أو يكسب قوت يومه .

عاطفياً : لا يقدر أن يعيش دون حنان الأبوين وحبهم وتشجيعهم ودعمهم المعنوي له، حتى إن بعض التجارب التي أجريت على بعض الأطفال الذين توافرت لهم كل وسائل الراحة والتغذية والصحة ولكنهم حرموا من الحنان والحب والقبلات والاحتضان قد انتهت بموت كثير منهم بسبب هذا العوز العاطفي .

ومما لاشك فيه أن اعتماد الطفل على أبويه جسدياً وذهنياً ومادياً وعاطفياً في هذه المرحلة من العمر أمر طبيعي ومفهوم، يبدأ بعده الطفل شيئاً فشيئاً بالاستقلال عن والديه، وأول ما يستقل به هو الناحية الجسدية، حيث يتعلم المشي، ويستطيع

أن يأكل ويشرب ويقضي حاجته وحده، ولكن ماذا لو أن طفلًا كبر وتجاوز عشر سنوات ولم يستقل جسدياً؟ بالطبع هذا الطفل معاق (إعاقة جسدية).

أيضاً يبدأ الطفل شيئاً فشيئاً بالاستقلال ذهنياً عن والديه حيث يصبح له عالمه الذهني الخاص وقراره ورأيه وتعجبه أشياء ويكره أشياء ويقبل ويرفض ويتمرد ويصر أما إذا لم تحدث هذه الاستقلالية بالتدريج وبقي معتمداً ذهنياً على والديه فهذا يدل على طفل معاق (إعاقة ذهنية وعقلية) .

كذلك مع نمو الطفل شيئاً فشيئاً يبدأ باكتساب مهارات معينة وتقوى عضلاته ويمكن أن يصبح قادراً على العمل واكتساب ما يؤمن له رزقه وقوته ولو على الأقل الحد الأدنى، فلو أنه اضطر إلى الاعتماد على نفسه فإنه لن يموت جوعاً، فقد صار قادراً على العمل والكسب، أما إذا كبر الطفل وبقي غير قادر على الكسب ومعتمداً كلياً على والديه فهو في هذه الحالة معاق (إعاقة مادية) .

وأخيراً مع نمو الطفل ونضجه يفترض أن يبدأ بالاستقلال العاطفي عن أبويه فتقل حاجته شيئاً فشيئاً إلى الدعم والمساندة العاطفية وتنمو قدرته على مواجهة مصاعب الحياة ويشتد عوده ويمتلك الحكمة والمحاكمة التي تعينه على عدم التأثر السلبي بالظروف الخارجية، وما يفعله الآخرون، وما يقوله الناس، ورأي الناس فيه . أما إذا كبر الطفل وبقي معتمداً على رأي الناس، ويتأثر بما يقوله الآخرون، وكلمة ما تسعده وأخرى تزعجه، وموقف ما ينغص عليه حياته فإن هذا الإنسان لم يستقل عاطفياً، وما زال يعاني مما يمكن أن نسميه : (إعاقة عاطفية) .

وهـذا الـكلام قـد يصـدم كثـيراً مـن القـراء الأعـزاء وقد يرفضونه ويقولون: هذا غير صحيح، لأن كل إنسـان لابد من أن يتأثر بالمواقف السـلبية ولا بد أن ينزعج ولا يمكن لأحد أن يتحكم في مشاعره.

والحقيقـة أن مجتمعاتنـا بشـكل عام مـا زالت غـير ناضجة بشـكل كافٍ، وما زالـت تعاني مـن إعاقة عاطفيـة، ومزاجية، وانفعالية، على اختلاف وتفاوت في درجة هذه الإعاقة، ونظراً لأن فاقـد الشيء لا يعطيه، فإن مـن الصعب جداً على الأهل أن يوصلـوا أبناءهم إلى ذلك الاسـتقلال العاطفـي وهم يحملون قـدراً لا بأس بـه من الإعاقـة العاطفيـة، ولا تحسـبوا أنني وأنا أكتب هـذه الكلمات أزعم أنني تحررت تمامـاً من هذه الإعاقة، ولكننـي عندما استشـعرتها ورأيت آثارهـا في حياتي ومن ثم في حياة أسرتي ومن حولي، بدأت أدرب نفسي لأخفف منها شـيئاً فشـيئاً، ولكننا في مجتمعنـا ينطبق علينا المثل القائـل (افتضحُوا فاصطلحوا).

فكلنا انفعاليون وكلنا مزاجيون، فاتفقنا على أن هذا الوضع طبيعـي، وأن الإنسـان بطبيعة خلقتـه معاق عاطفيـاً مع أن الله تعالى يقول ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين ٩٥/ ٤].

ولعل سائلًا يسأل: ما السر الذي يجعل الأهل مع حرصهم الشـديد على مصلحة أولادهم ومحبتهم الشـديدة لهم ورغبتهم الصادقـة في تربيتهـم التربيـة المثـلى، يقعـون في هـذا الفخ: فخ اسـتمرار الرغبة في التحكم والسـيطرة ومن ثم حرمان الأبناء من حقهم الطبيعي في النمو والنضج والاستقلال التدريجي، مما يؤدي إلى حدوث إعاقة ذهنية ومادية وعاطفية عند الأبناء؟.

أعتقد أن السر وراء ذلك هو الطول النسبي لفترة النمو عند الإنسـان قياسـاً إلى بقية الكائنات، فعندما يكون الطفل صغيراً يكون خوف الوالديـن عليه بالغاً، وبالتـالي يكون تحكمهم فيه كبيراً لمدة سـنوات وحين يحتاج هذا الابـن إلى زيادة تدريجية في الاستقلالية يكون الوالدان قد اعتادا التحكم والسيطرة بحيث صـار يعـز عليهما أن يفقـدا تلكم السـلطة. وكم وكـم جاءتني أمهـات وصـل أبناؤهـن إلى عمر الخمـس عشرة سـنة وأحياناً العشريـن وهـن يشـكين خوفهـن فقـدان السـيطرة والتحكم بسلوك أبنائهن، وكثيراً ما أفاجئ أولئك الأمهات بأن أقول:

" وهو المطلوب"

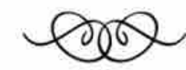
أي إن المطلوب من الأهل هو أن يفقدوا السيطرة والتحكم شـيئاً فشـيئاً حتى يصل الأبناء إلى سـن المراهقة وقد فقد الأهل السـيطرة والتحكم تماماً وحل محلها العلاقـة الطيبة والصداقة والتناصح والتفاهم والاحترام المتبادل والفرح بوجود اختلاف في وجهات النظر.



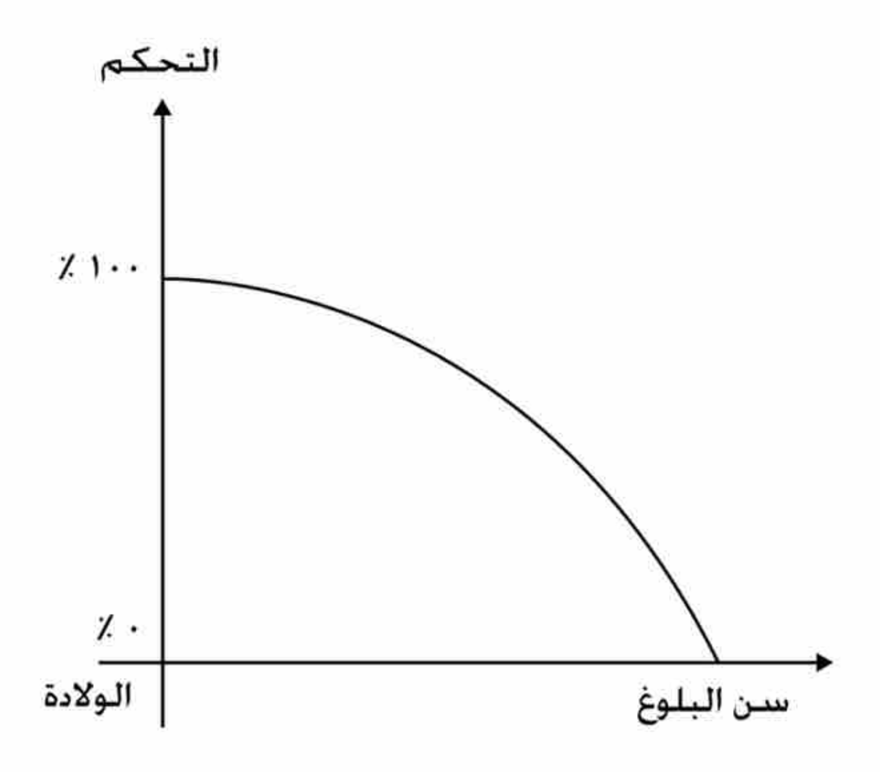
يجب على المربين أن يتصرفوا

كما تتصرف النسور إذا كانوا

يريدون للأبناء أن يحلقوا عالياً



ولـو أننـا أحببنـا أن نبسـط الموضـوع فيمكـن أن نتخيل محـوراً يمثـل عمر الأطفال من الولادة إلى سـن البلـوغ ومحوراً يمثـل التحكم الذي يكون كاملًا عند الـولادة ١٠٠٪ و ينعدم عند سن البلوغ أو قبل ذلك إن أمكن.



وعلينـا أن نلحـظ أن هذه التربية القاسـية مـا كانت لتعطي الأثر المطلوب لولا بناء الثقة القوية أولًا.

٣. **اللعب و المرح**: و هما من أهم الأمور التي تبني الثقة وتقوي العلاقة، وعندما يلعب الأبناء مع آبائهم فإن هذه أول دلالة على أنهم أصبحوا جاهزين للاستجابة لما يريده منهم آباؤهم، إن اللعب مع الأبناء يبني الثقة ويؤسس الألفة وييسر قنوات اتصال فائقة الجودة يمكن من خلالها تحقيق نتائج مذهلة، فكم من الأفكار المهمة يمكن غرسها عند الأبناء من خلال لعبة أو طرفة أو قصة وأذكر مرة ماحدث معنا في لقاء أسري حميم:

اجتمع أفراد أسرتنا في غرفة واحدة لنتناقش ولنتفق على بعض الأمور التي تزيد من سعادة الأسرة، و لنلعب بعض الألعاب اللطيفة، ونتناول الحلويات.

وكنت قد جهزت علبة مغلفة بورق الهدايا الملون، فقلت لهم: قد أحضرت لكم لعبة جديدة سنستمتع بها الآن، هجم معاذ وزاهرة على العلبة وانقضا على الورق يمزقانه ليخرجا لعبة النيشان (لعبة الشكاكة أو لعبة الهدف).

وبدأت بعض المباريات التي اشترك فيها جميع أفراد الأسرة، وكان معاذ هو الفائز في كل مرة بلا منازع، وفجأة قلت لهم: الآن سأدرب أفراد الأسرة لمدة دقيقتين بحيث يفوزون جميعاً على معاذ، ضحك معاذ وقال: مستحيل لا يمكنكم أن تفوزوا علي، فأنا الأول بلا منازع.

ابتسمت وقلت: صحيح لن نفوز عليك إلا إن أجرينا تعديلًا بسيطاً في شروط اللعبة، حيث سنعصب عينيك بحيث لاترى شيئاً ثم نضعك في منتصف الغرفة ونجعلك تدور حول نفسك عشر مرات، ثم سنبدأ بالتنافس معك، وأنا أضمن منذ الآن أننا جميعاً سنهزمك في منتهى السهولة.

قـال معاذ: ماهذا الكلام! طبعاً سـتهزمونني بهذه الطريقة! كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً لا يراه ؟! .

انتهـزتُ الفرصة و قلت : سـؤال وجيه فعـلًا، كيف يمكن لإنسـان أن يصيب هدفاً لا يراه ؟ سـؤال في غاية الأهمية دعونا نفكر فيه جميعاً: كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً لا يراه؟

وهناك سؤال أوجه منه:

كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً ليس له وجود؟

كثـيرون في هذه الحياة، يعيشـون بلا هدف واضح محدد، ثم يسـتغربون لماذا لم يحققوا نجاحاً في حياتهم، لماذا فشـلوا؟ لماذا لم ينجزوا أي هدف. ونحن نتعجب من هؤلاء ونسـألهم السؤال نفسه:

كيف يمكن لهم أن ينجزوا هدفاً ليس له وجود ؟

قالت زوجتي: دعونا نلعب هـذه اللعبة، ووزعت على كل فرد من أفراد الأسرة صفحة بيضاء مقسـومة قسـمين وقلمًا، ثم قالت: أرجو من الجميع اتباع التعليمات التالية:

- نرجو من كل فرد من أفراد الأسرة أن يرسم عشرة خطوط مستقيمة بشكل عشوائي، بالطريقة التي تعجبه.

والآن بقي لكل فرد خطان مسـتقيمان عليه أن يرسم بهما بيتاً جميلًا مستعيناً بالخطوط العشرة التي رسمها عشوائياً . ابدؤوا.

قالت زاهرة : لماذا لم تخبرينا منذ البداية؟

ضحكت زوجتي و قالت: ابدئي الآن.

وبعد أن حاول كل منهم وبذل جهده كانت النتائج مضحكة،فقالت زوجتي:

والآن في النصف السفلي من الورقة نرجو من الجميع أن يرسموا بيتاً جميلًا باستخدام اثني عشر خطاً مستقيمًا. تفضلوا بالبدء.

و الآن قارنوا بين الرسمة الأولى و الثانية و قولوا لي: ماذا نتعلم؟

قال ياسين: عندما نحدد هدفنا منذ البداية فإن النتيجة التي نحصل عليها تكون أفضل بكثير.

قلت: أحسنت يا ياسين، لذلك علينا نحن بوصفنا أسرة أن نحدد أهدافنا الأسرية، وما الذي نريد أن نحققه معاً، وكيف يمكن أن يعين كل منا الآخر لتحقيق هذه الأهداف ؟

تعالوا نجب عن هذه الأسئلة معاً:

- ما الأهداف الأولى لأسرتنا؟

- ما أهم المبادئ التي نعتمدها؟

- ما نوعية العلاقات التي نريدها أن تسود بيننا؟

- ما الأسلوب الذي نريد أن نتعاون و نتحدث به بعضنا مع بعض؟

- ما الأشياء التي نريد أن نفعلها معاً؟

- ما الأشياء التي يريد كل فرد منا أن يفعلها وحده وكيف نساعده على ذلك ؟

- ما النشاطات المشتركة التي يستمتع بها الجميع ويستفيدون منها؟

- ما المهارات و المواهب و القدرات التي يتمتع بها أفراد الأسرة أو التي يمكن أن يكتسبوها؟

- ما واجب أسرتنا تجاه المجتمع الذي نعيش فيه و تجاه الإنسانية عامة؟

- ما الأخلاقيات التي نريدها أن تسود بيننا؟ وبيننا وبين الآخرين؟

إن الطريقة المشتركة التي نتوصل بها إلى الإجابة عن هذه الأسئلة لاتقل أهمية عن الأجوبة التي نحصل عليها، إنها ترسم المسار و تحدد الجهة التي تتجه إليها الأسرة. إن بلورة أهداف الأسرة قد أعان عدداً كبيراً من الأسر على تجاوز كثير من المشاكل العالقة، و فتح الطريق أمام حياة رحبة خصبة وافرة بالإنجاز و الحب و التعاون و تحقيق أهداف عظيمة فردية و أسرية و اجتماعية.

إن معرفة هذه الأهداف من قبل الجميع ومناقشتها باستمرار ومراجعتها و تنقيحها سيخلق جواً جديداً مختلفاً وستكون هذه الأهداف بمثابة البوصلة التي تهدي الأسرة كلما ضلت عن مسارها.

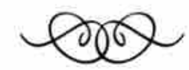


ولنتذكر دائماً الحكم التالية:

" إن لم تساعدنا ظروفنا فلتساعدنا أهدافنا "

" ليس المهم أين نحن الآن، المهم أين نريد أن نكون "

" إن كانت إمكاناتنا محدودة فآفاقنا بلا حدود "



٤ . مصادقـة الابن: إذا أردت أن تصـادق طفلك فعليك أن تتذكـر أن فمه أكثـر يقظة من عقلـه، وأن الحلوى عـادة أفضل عنـده من الكتـاب الجديـد، وأن الثـوب الملون أحـب إليه من القول المزخرف ، وأن اللعبة البسـيطة التي تلعبها معه والنشاط الممتع الذي تشـاركه فيه والرحلة الشـائقة التي يجدك معه فيها أحـب إليه من عشرات الآلاف التي تنفقها عليه وعلى دراسـته وعلى البيت والسيارة .

و الأب الذكـي هو الذي يدخل البيـت و يتحرى أن تكون في يده هدية أو تحفة أو طرفة فإن لم يجد فنكتة مضحكة أو حادثة طريفة أو قصة شائقة .

والعجيـب أن جميع الآبـاء والأمهات يرغبـون في مصادقة أبنائهم، ولكنهم للأسـف لا يفعلون ذلك، هـل تعلمون لماذا؟ لأنهـم غير مسـتعدين لدفـع الثمن، وهـو التخلي عن السـلطة والتحكم.

٥. **الحب بلا شروط**: الآباء والأمهات جميعهم يحبون أبناءهم من غير شروط، و لكن المشكلة الأساسية التي تخل عادة بالثقة هي أن الأبناء لا يعلمون ذلك، ولو أننا سألنا هؤلاء الأبناء: متى يحبكم آباؤكم و أمهاتكم؟ لو جدنا قائمة شبه تعجيزية على الأبناء أن يحققوها ليحبهم آباؤهم و أمهاتهم، والابن عادةً يستجيب لما في ذهنه، فإن اعتقد أن أمه لن تحبه إلا إذا كان متفوقاً، و أطاعها في كل شيء، و أكل الأطعمة التي لا يحبها، و امتنع عن فعل كثير من الأمور المبهجة له، و إذا درس ساعات طويلة، فعندها سيشعر هذا الابن بالإحباط، وسييأس من نيل محبة أمه و عندها تُفقد الثقة.

تحب ابنك بلاشروط عندما تسأله: متى أحبك؟ فيقول لك: دائمًا، مهما فعلت فأنت تحبني، وعندما تسأله: لماذا أحبك؟ يقول لك: لأني ابنك.

وإن أفضل وقت ندرب به أنفسنا على إرسال رسالة الحب غير المشروط هي الأوقات التي اعتدنا أن نعنف فيها أبناءنا أو نلومهم.

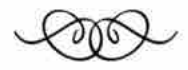
استبدل بالتعنيف التفهم

واستبدل بتقطيبة الجبين الابتسامة

واستبدل باللوم كلمة: أحبك



رسالة الحب غير المشروط: أحبك لأنك ابني، أحبك مهما فعلت، أحبك مهما كنت

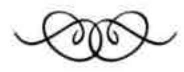


٦. **التفهم**: وهنا ينسى كثير من المربين قانون العدسة.

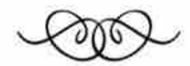
وعدسة الأبناء عادة تكون مختلفةً كلياً عن عدسة الكبار، فاهتماماتهم وميولهم ورغباتهم مختلفة عنها عند الكبار، فقيم الصغار عادةً هي اللعب والمرح والتسلية والمغامرة والاكتشاف والحرية والسؤال، أما قيم الكبار فتجنح نحو الجدية والتحكم والسيطرة والضبط، ومن هذا الاختلاف تحدث كثير من المشاكل. ولنذكر أن هناك أشياء هي عندنا أوهام وهي عند الأطفال حقائق، ولن نظفر بصداقتهم إلا إذا رأينا الدنيا بعيونهم وعدستهم، ولعلهم أعلم منا وأحكم، ولاتنسَ أن داخل كل منا طفلًا قد أهملناه ونسيناه منذ زمن بعيد.

إذا أردت أن تفهم ولدك فعليك أن تتذكر أن الله قد خلق لك أذنين اثنتين وفمًا واحداً لتسمع أكثر مما تتكلم، كما أنه جعل لفمك ميزة هامة غير متوافرة للآذان وهي ميزة الإغلاق.

إذا أردت أن تسرع عملية النضج عند أبنائك فاستخدم أذنيك أكثر، استمع إليهم، افهم الدنيا من منظارهم، أما إن أردت أن يبقوا معتمدين عليك فأكثر من الكلام والمواعظ والدروس.



الأبناء يـكـبرون بآذاننا
ويـصـغرون بأفواهنا



٧. **الاحترام**: يعامل الطفل عادةً على أنه مجرد طفل، و ينسى المربون أن هذا الـ "مجرد طفل" هو إنسان مكرم له شخصيته و له مشاعره و له أفكاره و له تفاعله و حساسيته المرهفة مع كل كلمة يسمعها أو كل تصرف يمارس معه. على المربين أن يتواضعوا احتراماً أمام عظمة الطفل، وأن يفهموا أن كلمة الطفل مرادفة لكلمة الملك ، و أن يشعروا بأن هذا الذي ينام بين ذراعيهم هو المستقبل بعينه ، وأن من يلعب و يلهو الآن بين أقدامهم هو التاريخ بنفسه .

لي صديق عندما يدعى إلى وليمة غداء أو عشاء مع أسرته يسألهم هل سيجلس الأولاد معنا فإن قيل له: بل هناك طاولة للصغار فإنه يعتذر. وقد قال لي: لست مضطراً لتلبية دعوة من لا يحترم أبنائي.

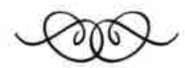
نحن نطالب الأبناء عادة باحترامنا والطريق الوحيد التي توصلنا إلى ذلك هو أن نحترمهم نحن أولًا .

علينا أن نتخلى عن جمل ألفناها مثل:

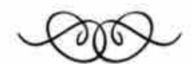
عندما يتكلم الكبار يصمت الصغار، أنت مازلت صغيراً، لادخل لك، لأنني أنا الكبير.

والفرق بين الاحترام الذي ندعو إليه والاحترام الذي اعتدنا عليه، هو الفرق بين الاحترام الموجود بين الأصدقاء، والاحترام الموجود بين الأبناء والآباء.

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن الفارق الرئيس بين هذين النوعين من الاحترام هو تلك ((الرهبة)) التي نتمسك بها والتي أرجوكم -أخي المربي أختي المربية- أن تتخلوا عنها.



عامل طفلك على أنه السيد طفل



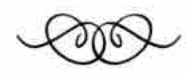
٨. **لمسة حنان** : إن الرسائل غير الملفوظة التي نرسلها إلى الأبناء كثيراً ما تكون أكثر أهمية من الكلمات ذاتها ، و كم قصر الأهل في مسح رؤوس أبنائهم وضمهم إلى الصدور بحنان ومحبة ودفء ، كم غفل الأهل عن أهمية القبلة والتربيت على الظهر و المداعبة و شيء من الدغدغة . وأعرفُ أماً كادت أن تفقد علاقتها بابنها لأنها كانت لاتحب أن تقبله بعدما صار بعمر المراهقة فهي تنزعج من رائحته وتخيلوا حال هذا الابن الذي يُستقبل يومياً بنداء: اخلع حذاءك واغسل رجليك قبل أن تأتي إلينا.

٩ . **القدوة**: لا يمكن بناء الثقة ما لم نكن أهلًا لها، ولن نكون أهلًا للثقة ما لم نكن قدوةً لأولادنا في سلوكنا وفي كلامنا وفي عاداتنا وفي مرونتنا وفي استيعابنا وتفهمنا وضبطنا أنفسنا وفي حسن أخلاقنا. ولئن كانت الطريقة التربوية التي تعتمد على أن نطلب من أبنائنا ما نريده منهم، هي طريقة فاشلة عادةً ولا تؤدي إلا إلى نتائج هزيلة، فإن الطريقة التربوية المثلى هي أن نري الأبناء عملياً ما نريده منهم وذلك بأن نكون قدوة لهم.

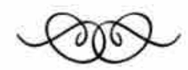
ومن المعروف منذ قديم الزمان أن لسان الحال أبلغ بكثير من لسان المقال.

حال رجل في ألف رجل أبلغ من مقال ألف رجل في رجل

وهنا قد يستصعب الكثيرون هذا الكلام ويقولون ولكننا نحمل كثيراً من الأخطاء ونتمنى أن يتجاوز أبناؤنا تلك الأخطاء وجوابي: كن قدوة لأبنائك بإطلاعهم على أخطائك بدلًا من التستر عليها، وبطلب مساعدتهم لك في التخلص منها وبهذا تصبح قدوة لهم ولو كنت محملًا بالأخطاء. أما المعنى الذي اعتدنا عليه للقدوة وهو الشخص المثالي الذي ليس لديه أخطاء أو ثغرات فلا وجود له في هذه الحياة.



ما تريـده من أبنائك، افعله أنت معهم ولا تطالبهم به



١٠. أكثر من الإيداعات:

تتحدث قصص التراث عن ذلك المزارع الفقير الذي اكتشف ذات يوم بيضة ذهبية لامعة تحت إوزته المدللة، اعتقد أنها خدعة ما، وهمّ بقذفها جانباً، لكنه غيّر رأيه وأخذها كي يتأكد من حقيقتها .

يا للمفاجأة ! البيضة من الذهب الخالص ! لم يصدق المزارع حظه السعيد الذي ازداد أكثر حين بدأت العملية تتكرر يوماً بعد يوم. بيضة ذهبية كل يوم جعلت المزارع الفقير من كبار الأغنياء، ومع تزايد ثروته ازداد طمعه وقل صبره. ولمّا لم يعد يطيق الانتظار اليومي للحصول على البيض الذهبي، قرر أن يذبح الإوزة ليحصل على البيض الذهبي كله دفعة واحدة، لكنه حين ذبح الإوزة وجدها فارغة، لقد خسر الذهب وخسر إوزته المدللة في آن واحد.

كثيراً ما يستشهد د. ستيفن كوفي صاحب الكتاب المشهور (العادات السبع للناس الأكثر فاعلية) بهذه القصة الطريفة ليعرّف الفعالية بأنها توازن بين النتائج التي نريدها (البيض الذهبي) وأداة الإنتاج (الإوزة) ويسميه توازن الإنتاج والقدرة على الإنتاج (P /PC Balance) عندما نركز على البيض الذهبي ونهمل الإوزة تموت الإوزة ونفقد معها البيض الذهبي ، عندما نركز على الإوزة ونهمل الذهب فلن يكون لدينا ما نأكله أو نطعمه للإوزة .

ويمكننا أن نستعير هذا المفهوم العميق لنشرح من خلاله قانوناً أساسياً من قوانين التربية سندعوه :

قانون العناية بالإوزة.

أغلـب المربـين يتجـه تركيزهـم نحـو المخرجـات التربوية يهتمون بالنتائـج ،يريدون من الأبناء نجاحاً متميزاً ، ودرجات دراسـية مرتفعة وحسـن خلق وانضباطـاً ، والتزامـاً وتعاوناً ، وطاعة واهتماماً بمسـتقبلهم ، وغير ذلـك كثير من القائمة التي تكاد لاتنتهي .

وفي أثنـاء سـعيهم المحمـوم لتحقيق هـذه النتائج كثـيراً ما يفقـدون الصـبر ويغريهم الطمـع فيهملون العناية بـالإوزة بل إنهـم كثـيراً ما يذبحـون الإوزة بحجـة مصلحـة الأبناء وحب الأبناء، " ومن الحب ما ذبح " .

ما الإوزة ؟ وكيف تكون العناية بها ؟

الإوزة هنـا: الأبنـاء وتوازنهـم النفسي من جهـة، والعلاقة الطيبة بينهم وبين آبائهم من جهة أخرى .

عندما لا يُعطي الأبناء (الإوزة) النتائج التي نريدها (البيض الذهبـي) فهذا يعني أن العلاقة بينهم وبين آبائهم يسـودها جو كبير من التوتر والعنف والغضب والمشاعر السلبية، والصوت المرتفع، والإكراه والإجبـار وأنواع مختلفة من العقوبات المادية والمعنوية.

أي إن الإوزة تكـون قـد ذبحـت، أو أنهـا عـلى وشـك الاختناق.

كثيرة هي الاستشـارات التـي تأتيني يبدأ فيهـا الأب والأم بذكـر مثالب أبنائهم من تمرد ومشاكسـة وكسـل وسـوء خلق وعنـاد، وحين أسـلط الضوء عـلى العلاقة بينهم وبـين أبنائهم تظهر المشكلة الحقيقية:لقد ذبح الأهل الإوزة.

كثيراً ما أسـأل الأهل سؤالًا مربكاً فأطلب منهم أن يعطوني بالأرقـام النسـبة المئويـة لحسـن العلاقـة بينهـم وبـين أبنائهم مفترضـاً أن الدرجة المثلى هـي ١٠٠٪ ودائمًا تكـون الإجابات أقل من ٣٠٪ وأحيانـاً تكون الإجابة ٠٪ وعندها يكون حالنا كما قال الشاعر :

لقد أسمعتَ لو ناديْتَ حياً

ولكن لا حياةَ لمنْ تُنادي

لا شـك أن الأهـل حريصـون عـلى أبنائهـم، ولا شـك في أن الأهـل (غالبـاً) يملكون من الخبرات القيمـة التي يحتاجها الأبناء، ولا شـك أنـه في كثير مـن الأحيان يكون لـدى الأهل معلومـات مهمة ينبغـي أن يوصلوها إلى الأبنـاء ولكن ماذا لو أنني أمسكت بشـجاعة الهاتف، وبدأت أتكلم، ولكن الحرارة مقطوعة، لا خط يصلني بالطرف الآخر؟!

لن يجـدي رفع الصـوت في إيصال الرسـالة ،رفع الصوت يوصـل فقـط إلى البحـة وتلـف الأعصـاب والأرق الليـلي والضوضاء التي قد تغضب الجيران !

إن صاحبنا المـزارع صاحب الإوزة لو كان حكيمًا لركز على العناية بالإوزة التي كانت تقوم بما عليها بشكل رائع، وهذا هو حـال أبنائنا، إنهـم يقومون بأعمالهم بشـكل رائـع عندما نعتني بالعلاقة الطيبة بيننا وبينهم وفي كل مرة تنخفض العلاقة فعلينا أن نراجع أنفسنا لأننا بدأنا دون أن نشعر بخنق الإوزة .

الحلقة المفرغة:

عندمـا تكـون العلاقـة طيبة بين الأهـل وأبنائهـم، وعندما يكون الأهل قدوة حسـنة لأبنائهم، فـإن الأبناء يعطون أفضل

النتائج ويُخرجُ الأهل بالقدوة الحسنة والعلاقة الطيبة أفضل ما لدى أبنائهم.

وحين تضعف النتائج فإن الأهل من غير انتباه يضاعفون تركيزهم على النتائج بدلًا من أن يرجعوا إلى أنفسهم ويصلحوا من أفعالهم، فتزداد النتائج ضعفاً، فيزداد تركيز الأهل على النتائج أكثر، فتزداد النتائج ضعفاً، وهكذا يدخل الأهل في حلقة معيبة تكون بدايتها إخلالًا بالتوازن بين العناية بالإوزة والرغبة في البيض الذهبي وتكون نهايتها ذبح الإوزة وانقطاع الذهب وانقطاع التواصل بين الأهل وأبنائهم وجواً مفعمًا بالمشاعر السلبية واللوم المتبادل، وإذا كان حظ الأسرة حسناً يصل الأهل إلى غرفة الاستشارات الأسرية والتربوية، حيث يفهمون تلك الحلقة المعيبة التي تاهوا فيها، ويبدؤون بالإصلاح من جديد بالتركيز على العناية بالإوزة وتحسين العلاقة مع الأبناء والتركيز على سلوكياتهم هم بدلًا من سلوك الأبناء وغض الطرف مؤقتاً عن النتائج التي يريدونها ريثما تتعافى الإوزة، ومع أن الأمر جد بسيط من حيث فهمه نظرياً إلا أنه جد معقد وصعب عند التطبيق العملي، لأن عوائق كثيرة ستمنع من الخروج من الحلقة المعيبة منها :

- إنكار الأهل للخطأ الذي بدأ عندهم.

- رفضهم التغيير لعاداتهم ولطباعهم وإن اعترفوا بأخطائهم.

- عدم استعداد الأهل أن يدفعوا الثمن وهو المواظبة على التغيير لفترة طويلة من الزمن، لأن الحل لا يكون من خلال ضغطة زر، كجملة مصارحة أو اعتذار من الأبناء، ليس هناك حلول سحرية، ولا بد من صبر ومصابرة ودأب ومثابرة وأعتقد

أن الأهل في هـذه المرحلة بحاجة إلى استشـاريين أو مدربين أو داعمين ناصحين لهم، لأن أسهل شيء في هذه المرحلة الانزلاق إلى الحلقة المعيبة مرة أخرى، والمشـكلة أن الانزلاق يرفع الثمن المطلوب للإصلاح بشكل مذهل .

- قلـة صبر على بعض النتائج الفورية التي يعدونها سـلبية، وهي مزيد من العناد ومزيد من التفلت ومزيد من التراجع عند الأبنـاء، الذين كانـوا مكبلين بقيود الأهـل فحين يخفف الأهل القيود يتسـارع اندفاع الأبناء نحو الأمور السلبية التي يكرهها الأهل، وكم سـمعنا من بعض الأهـل أنهم يفضلون العودة إلى الحلقـة المعيبة بإرادتهـم بدلًا من أن يصبروا على مـرارة الدواء، وبعضهـم يقـول : " بـلا تربية حديثة بـلا بطيخ " ويعـودون إلى شـحذ السـكين ويتابعون طريقتهـم الخاصـة في معالجة الإوزة بذبحها .

- العـادات والتقاليد والثقافة التربوية الشـائعة والمسـيطرة التي تعزز الدخول إلى الحلقة المعيبة وتعزز التعسف في استخدام السـلطة الوالدية وتعـزز التربيـة القائمة على العنـف والإكراه والعقوبـات وتضخـم مفاهيـم السـمع والطاعـة والاحـترام للأبوين، وتبالغ أي مبالغة في استخدام سلاح الرضا والغضب على الأبناء، مما يزيد من تمـرد الذين لا يبالون برضا والديهم أو غضبهم، أو يعرض الذين يخافون من غضب الوالدين لمشاكل نفسية وصراعات عميقة .

- من أهم المبادئ التي تؤدي إلى البقاء في الحلقة المفرغة مبدأ التناقض العجيب، فأساليب الضغط والشدة المتبعة من الأهل الذيـن يدورون في الحلقة المفرغة تؤدي أحياناً إلى الحصول على بعـض النتائج مما يغريهـم بالبقاء في هذه الحلقـة، أما من يحاول

الخروج منها فـلا يحصل على نتائج في المرحلة الأولى، بل يحصد العكس تماماً وهو مزيد من البعد عن النتائج، وهذا كما أسـلفنا نتيجـة طبيعية ريثما تتعـافى الإوزة وتعطينا البيـض الذهبي من جديد .

وهـذا يذكرنـا بطريقتنـا القديمة في إصـلاح الأمـور، فإذا اختفـت الصورة أو الصوت من جهـاز التلفاز كان الحل ضربة عـلى جداره فتعود الصورة أو الصوت ومـا هذه النتيجة المؤقتة إلا مجموعـة مسـامير ندقها في نعش هذا الجهـاز ففي كل ضربة ضربناهـا كنـا نخرب في الجهـاز أكثر بكثير مما كنـا نصلح حتى وإن حصلنـا على نتيجة، فالحصـول على نتيجة أمـر مهم، لكن الأهم الاستمرار في إعطاء النتائج مدى العمر.

كلما ازدادت عنايتنا بالإوزة حصلنا على بيض أكثر

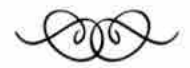
كلما ازدادت عنايتنا بأولادنا والعلاقة الطيبة معهم حصلنا على نتائج أفضل

والعكس صحيح.

كلما ركزنا على البيض وأهملنا الإوزة قل عدد البيض الذي سنحصل عليه.

كلما ركزنا على النتائج التي نريدها من أبنائنا وأهملنا العلاقة الطيبة معهم قلت النتائج واختنقت الإوزة.

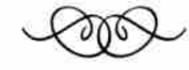
احـذروا من الوقـوع في فخ النتائـج المؤقتة التـي قد تحدث بسـبب ممارسـات تربوية خاطئـة تعتمد عـلى الإكراه والشـدة والعقوبة والتي سرعان ما ستتوقف.



قاعدة مهمة:

ليس المهم أن نحصل الآن على نتيجة بأيٍ طريقة كانت.

المهم هو أن نحصل على نتائج طيبة و مستمرة مدى العمر.



احـذروا من الانـزلاق دون انتباه إلى الحلقـة المفرغة عندما تتوقـف النتائج، فبـدلًا من تغيير المسـار نحو الاتجـاه التربوي الصحيـح فإن أكثر الأهل يـصرون على التوغل أكثـر وأكثر في الطريـق الخاطئة و يصرون على خنق الإوزة حتى تموت في نهاية المطاف ولات حين مندم.

احذروا الاعتقاد بأن المشكلة هناك عند الأولاد فتتوجهون بالإصلاح إلى هناك دون أن تفطنوا إلى أن حل المشكلة عندكم، في داخلكـم، في توجيـه أدوات الإصـلاح إلى أنفسـكم، إلى عاداتكـم، إلى إدارتكـم لأنفسـكم﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد ١٣/ ١١].

- طيب، خلصنا، ماذا تريدنا أن نفعل؟

أكاد أسمعها من أفواهكم بنبرة لا تخلو من امتعاض مع كثير من الشـك - ربـما - وشيء من العبوس يرسـم الرقم (١١١١) على جبهاتكم.

بعضكم ابتسم الآن وهو يستشعر الرقم وسط جبينه.

وعجيبـة هـي الابتسـامة كيـف تبدد هـذا العبـوس وذلك التجهم.

نعم، هكذا أفضل، أكاد أسمع بعضكم يقول:

- حسـن، إني أعـترف أني - ربـما - أخطأت مـع أولادي في بعض الممارسات - بحسن نية طبعاً - ولكن النتيجة أنني خنقت الإوزة أو كدت أخنقها أو كما قلت في الماضي: ذبحت الإوزة أو كدت أذبحها، فما العمل؟

- اطمئنـوا، ليـس ثمـة مشـكلة ليس لهـا حل، ومـا دامت الإوزة تتنفس ولو بصعوبة فما زال هناك أمل واسع في إنعاشها، تقولون:

- "كيف"؟

دعونا نتابع:

إنعاش الإوزة:

في إحـدى المشـافي القديمة التي ما زالـت تعمل على الطرق القديمـة، وما زال فريقها يحمل كثيراً من الأفكار البالية، كانت هناك غرفة العمليات الرئيسة وبجانب هذه الغرفة كانت هناك غرفتان:

- غرفة إنعاش.

- غرفة إنهات.

فكان الممرضون ينقلون المريض ذا الحظ الحسـن - إن عاش - إلى غرفة "إنعاش" لينتقل بعدها إلى غرفة العناية المشددة،

وأما المريض ذو الحظ الأحسـن فـكان ينقل - إن مات - إلى غرفة "إنهات" تمهيداً لنقله إلى العناية الربانية.

وفي أحـد الأيـام، هرب أحد المـرضى من غرفـة العمليات بلباسـه الأزرق ومضى لا يلوي على شيء حتى صادفته إحدى الممرضات فقالت له: خير ما الذي حدث؟

فقـال لهـا: هل سـمعت مـا كانت تقولـه الممرضـة في غرفة العمليات؟

فسألت الممرضة بتعجب: ماذا كانت تقول؟

قال المريض بهلع: كانت تقول: اطمئن العملية بسيطة وهذه ليست أول مرة، كن رابط الجأش، حافظ على هدوئك..!

قالت الممرضة: و ما المشكلة؟ لقد كانت تطمئنك!

قال المريض: و لكنها لم تكن تتكلم معي، لقد كانت تخاطب الطبيب الجراح!!!

أرجو أن أكون قد استطعت أن أرسم الابتسامة على وجهك أخي القارئ، أختي القارئة،و أرجو أن تحافظوا على تلك الابتسامة و نحن نكمل بحثنا لنتعلم أهم الطرق التي ننعش بها الإوزة، إن اكتشفنا أننا كنا - بحسن نية - نحاول ذبحها من دون أن نشعر، و لنتعلم كذلك كيف نتجنب أهم الطرق التي تساهم في خنق الإوزة أو ذبحها.

أرجو من الإخوة المربين أن يحافظوا على الابتسامة وهم يكتشفون كيف كانوا يساعدون - دونما قصد - في إرسال الإوزة إلى غرفة إنعاش، كما أرجو منهم أن يكونوا صريحين مع أنفسهم، و إن استطاعوا أن يكونوا صريحين مع من حولهم، فليعترفوا بأخطائهم غير المقصودة حتماً، لأن المربي ينبغي أن يكون من أهل الفضل و أن يحوز فضيلة الاعتراف بالذنب خطوةً أولى في طريق جديدة نتائجها التربوية أكثر فعالية.

افعل Do - لاتفعل Don’t

١. **إشارة خضراء:** حافظ على هذه الابتسامة جهد استطاعتك، طوال الوقت إن أمكنك، فإن لم تستطع فعلى الأقل حافظ عليها في الأوقات التي اعتدت أن تغضب فيها، وفي المواقف التي اعتدت أن تنفعل فيها.

إشارة حمراء: تجنب ال (١١١١) على جبينك، ونبرة الصوت المرتفعة، تجنب العبوس و التجهم جهد استطاعتك، طوال الوقت إن أمكنك، فإن لم تستطع فعلى الأقل في الأوقات العصيبة و المواقف التي اعتدت أن تسميها " مزعجة ".

٢. **إشارة خضراء:** حافظ على طهارة لسانك ونظافته باستخدام الكلمات اللطيفة و الجميلة و الناعمة.

إشارة حمراء: تجنب الكلمات القاسية والجارحة والبذيئة والمؤذية.

٣. **إشارة خضراء:** حافظ على مرونتك واستيعابك لأولادك وحسن إدارتك لذاتك وكظمك لغيظك. كن جنة أولادك.

إشارة حمراء: تجنب الغضب وفقدان السيطرة على نفسك. لا تكن جحيم أولادك.

٤. **إشارة خضراء:** احمل -أنت- المسؤولية، أنت الكبير، فكن كبيراً فعلًا، أنت الناضج، فكن ناضجاً فعلًا، أنت -يفترض- الحكيم، فكن حكيمًا فعلًا، تحمل بنضج وحكمة مسؤولية الأخطاء التي تحدث بغض النظر عمن صدرت منه تلك الأخطاء.

إشارة حمراء: إياك واللوم، إياك أن تتخلى عن المسؤولية، إياك أن تعتقد أن المشكلة هناك، لأن أكبر مشكلة تكمن في اعتقاد أن المشكلة هناك.

٥. **إشارة خضراء:** كن صياداً ماهراً يصطاد الإيجابيات ويفتخر بها ويركز ويكافئ عليها.

إشارة حمراء: عندما تصطاد أمراً سلبياً (حذاء أو جزمة)، ألقه مسرعاً ولا تلتفت إليه، بادر قبل أن يراك أحدهم ويبدأ بالضحك منك ومن خيبتك، حذار من اصطياد السلبيات.

٦. **إشارة خضراء**: امدح و شجع وأثن وآمن بالإمكانيات الهائلة لدى أبنائك وكن سخياً بذكر المزيات.

إشارة حمراء: احذر النقد و التثبيط و التحبيط، إياك أن تقلل من شأن أبنائك أو أن تسمح لنفسك أن تؤمن بفشلهم وضعفهم وحذار من كيل الاتهامات والتقريع والتأنيب.

٧. **إشارة خضراء**: كن كريمًا بالاعتذار عن :

• أخطائك المقصودة: وهذا واجبك.

أعتذر لأني ألغيت الموعد الذي كان بيني وبينك.

• أخطائك غير المقصودة: وهذا صعب عادةً.

أعتذر لأني تأخرت دون قصد عن الموعد.

• أخطائك التي لا تعدها أنت أخطاء ولكن أولادك يعدونها أخطاء: وهذه أصعبها.

أعتذر لأني جعلتك تنزعج عندما حاولت أن أنصحك، ربما كان أسلوبي غير مناسب.

إشارة حمراء: حذار من الجمل التالية:

"الكبار لا يعتذرون"

" الاعتذار يقلل من هيبة الأهل"

٨. **إشـارة خضراء**: أظهر حباً و تقبلًا لأبنائك دون شروط، لا شك أنك تحبهم لأنهم أبناؤك، المهم أن يعرفوا هم ذلك، المهم أن تتقبلهم و تفتخر بهم لأنهم رائعون في نظرك، المهم أن تتجنب الحب و التقبل بشروط قاسية جداً و إنجازات تعجيزية.

٩. **إشـارة خضراء**: أعط مسـاحة هائلة مـن الحرية ، احترم آراء أبنائك و رغباتهم الخاصة .

إشـارة حمـراء: تجنـب كثـرة القواعـد و اللـوازم(لازم يأكل، لازم ينـام، لازم يحكي بأدب، لازم يحـب الآخرين، لازم يتعاون، لازم يدرس) و تجنب الميل الغريزي لديك نحو التحكم بأبنائك.

١٠. **إشـارة خضراء**: أوف بوعودك وكن كريمًا لطيفاً حسن الخلق حلو المعشر مخلصاً طيب الكلام.

إشـارة حمـراء: تجنـب إخـلاف الوعـد والأنانيـة والغيبة والكلام القاسي والإهانات والفظاظة وسوء المعشر.

١١. **إشـارة خضراء**: اسـتعمل أذنيك بكثـرة و تدرب على الاستماع و التعاطف و تفهم أبنائك.

إشـارة حمراء: تجنـب اسـتعمال فمك بكثـرة، وتذكر ميزة الإغـلاق: الفم قابل أن يغلق بعكـس الأذنين وتذكر أن أبناءك يتعلمون من سلوكك وليس من كلامك، قلل ما استطعت من الوعظ والدروس والنصائح الكلامية.

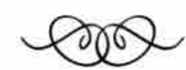
ما تريده من أبنائك لاتقله لهم

وإنما افعله أمامهم ومعهم

جـدول موازنـة بـين الطـرق التـي تنعـش الإوزة (إنعاش) والطرق التي تميت الإوزة (إنمات) :

إنعاش الإوزة	إنمات الإوزة
الوفاء بالوعود	إخلاف الوعود
الكرم والإيثار	البخل والأنانية
اللطف و حسن الخلق	الفظاظة والعبوس
الإخلاص	الغيبة وكشف الأسرار
الإنصات و التعاطف	التكلم باستمرار
التفهم المستمر	النصح والوعظ والاستجواب
الاعتذار المخلص	عدم الاعتراف بالخطأ
الآمال الواقعية الواضحة	الآمال الخيالية الوهمية
الكلام الطيب	الكلام القاسي و الإهانات
الابتسامة	العبوس و التجهم
المدح و التشجيع	النقد و التثبيط
الإيمان بالإمكانيات الهائلة	الإيمان بالفشل
بث روح التعاون الإيجابي	بث روح التنافس السلبي
اصطياد الإيجابيات	تصيد السلبيات
الحب والتقبل بلا شروط	الحب والتقبل بشروط قاسية
الدفع نحو الأعلى	السحب نحو الأسفل
إعطاء مساحة كبيرة من الحرية	التحكم الكامل
السخاء بذكر المزيات	كيل الاتهامات
$O2$	$CO2$

وتذكـر دائـمًا أن الهـدف الأسـاسي مـن المكافـآت والهدايـا المادية والمعنوية هـو تقوية العلاقـة وتمتـين أواصر المحبة بينك وبين أبنائـك " تهادوا تحابوا"، ولئن ركزنـا في المرحلة الأولى من الكتاب على أن العقاب ليس وسـيلة فعالة لتغيير السـلوك وإنما هو وسيلة فعالة لبناء الثقة وتقوية العلاقة بشكل عام مما سيؤدي بعد ذلك وبشكل غير مباشر إلى تعديل السلوك.





اصطياد الإيجابيات

اصطياد الإيجابيات

التربية الفعالة

بناء الثقة

إعادة توجيه السلبيات

الاستراتيجية المثلى للتربية



ثانياً. كيف نصطاد الإيجابيات

كان هذا سؤالي الثاني، و تفاجأت إذ قادني المدرب إلى غرفة صغيرة وقال:

- سأريك حوضاً لسمك الزينة و أريد منك أن تحصي عدد سمكات الزينة الحمراء.

ومد يده إلى ستار و أزاحه عن حوض كبير لسمك الزينة و قال: هيا ابدأ، فاقتربت من الحوض وبدأت أحصي السمكات الحمراء ((واحدة - اثنتان ...)) و بعد قليل استدرت وقلت:

- هناك خمس سمكات حمراء.

- قال: بالفعل هناك خمس سمكات حمراء داخل الحوض وكم عدد السمكات الزرقاء؟ فالتفتّ إلى الحوض ولكني وجدته قد أسدل الستار فلم أعد أستطيع أن أرى الأسماك، فنظرت إليه قائلًا:

- ولكنك أسدلت الستار، ولن أستطيع أن أحصي السمكات الزرقاء!

فقال المدرب: لقد أعطيتك وقتاً كافياً لتعد السمكات الحمراء والزرقاء ولكنك عندما تركز على شيء فلن ترى الشيء المعاكس له، إن الوقت و الجهد اللذين تبذلهما في التركيز على السلبيات تأخذه من الجهد المطلوب للتركيز على الإيجابيات، و ليس لدي بوصفي مدرباً وقت للتركيز على تصيد السلبيات، فقد علمتني التجربة العملية أنني عندما أركز على شيء فلن أرى غيره، و لذلك فقد عودت نفسي اصطياد الإيجابيات ورصد الجوائز و المكافآت لمن يقوم بها و بذلك يتسابق الجميع للوصول إليها، و لا يعود لدينا أي وقت للأخطاء.

- فقلت مصراً: و لكن لا بد من العقاب في كثير من الأحيان.

فقال: أفّ لك و للعقاب، قل لي: كم طريقةً تتقن للعقاب؟ فشعرت بشيء من النصر و حاولت أن أرد اعتباري و بدأت أعدد له كل ما أحفظ من الوسائل المتدرجة في العقاب، وحاولت أن أبين له أنني لست شريراً أو همجياً كما يعتقد، بل إن أساليب العقاب مدروسة بعناية، وبعد أن سردت له عشرات الأمثلة عن أساليب العقاب فاجأني بسؤال مباغت:

- و ما استراتيجيتك في المكافآت؟

فتلعثمت وتلكأت وخانتني الكلمات والعبارات، وطارت من رأسي الأفكار أو الأصح إنها لم تكن موجودة، وبت أجمع فكرة من هنا وفكرة من هناك، وأطرقت رأسي خجلاً وقد وعيت الدرس جيداً وقلت له: صدقت يا أستاذ، أنا أركز على السلبيات وأساليب العقاب أكثر بكثير مما أركز على الإيجابيات وأساليب المكافأة، ولكن قل لي: لماذا حدث ذلك؟.

عندما تركز على شيء فلن تنتبه إلى الشيء المضاد له

قال: نظراً لأن كثيرين منا قد اعتادوا نمط التفكير السلبي حيث يركزون على الأخطاء ويركزون على السلبيات فإنهم لا يرون من أولادهم إلا التصرفات الطائشة، ولا يسمعون من أولادهم إلا الكلمات البذيئة أو الأصوات العالية والتي عادة قد لا تشكل أكثر من ٥٪ من أسلوب حياتهم، إلا أن الأهل لديهم المقدرة - بلا وعي - أن يحذفوا ٩٥٪ من إيجابيات أبنائهم وسلوكياتهم الطيبة ويركزوا على الـ٥٪ ثم يعمموها لتصبح ١٠٠٪ .

أعتقد أنه قد حان الوقت لننتقل من مرحلة اصطياد السلبيات والمعاقبة عليها إلى مرحلة اصطياد الإيجابيات والمكافأة عليها.

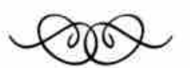
قلت: وما أنواع المكافآت التي تقترحها؟ هل هي مكافآت مادية؟

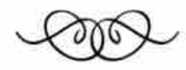
-من الخطأ طبعاً الاقتصار على المكافآت المادية فقط لئلا يشب الطفل نفعياً يأخذ مقابل ما يفعل، فالمكافآت المعنوية من مدح وثناء أمام الآخرين لها الأثر الأكبر في تشجيع الطفل وتحفيزه، ومن رحمة الله بنا أننا وإن كنا محدودين من حيث قدرتنا المادية إلا أننا نمتلك آفاقاً بلا حدود في مجال المكافآت المعنوية مثل:

• لا تنس الكلمة الطيبة لتقولها لطفلك عندما يقوم بعمل حسن ، كلمات خفيفة على اللسان ولكن لها أجمل الوقع في قلب ابنك وأكبر الأثر في مسيرة التربية ((الله يعطيك العافية ، الله يرضى عليك ، أحسنت ، شكراً ، برافو ، رائع ، ممتاز ...))

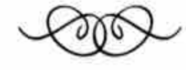
• امدحه أمام الآخرين إن هو أحسن ، وامدحه لأقاربك وأصدقائك وأنت تتكلم على الهاتف بحيث يسمعك وهو يعتقد أنك لا تعلم بذلك .

جبلت النفوس على حب من أحسن إليها





هل جزاء الإحسان إلا الإحسان



• داعبـه مـن حين لآخر و احرص على تقبيله و شـكره كلما سنحت لك الفرصة المناسبة.

• اسـتخدم اللغـة الواصلة التي تصل بين الطفل و سـلوكه الحسـن بحيث يصبح هو مساوياً لسـلوكه الحسن ولا مانع من شيء من المبالغة والتعميم في هذه، فمثلًا إن قدم لأخته هدية أو مسـاعدة في أمر من أمور المنزل فمن المفيد جداً شـكره ومدحه وتضخيـم الأمـر بحيث نقـول : إنه دائـمًا يعتنـي بإخوته ويهتم بهم.

• ابتسـم دائمًا في وجه أبنائك ، لأن الابتسامة تشعر بالراحة والأمان .

• احرص على نبرة صوت هادئة باستمرار مهما كان الموقف، إن نبرة الصوت الهادئة تسـاعدك على حسـن التفكير و صياغة الكلمات بالشـكل المناسـب ، كما أنها تسـاعد في تهدئة الانفعال عند الابن و تشعره بالراحة .

تعلم من السلطعون (السرطان)

السرطانـات مخلوقـات صغـيرة مدهشـة تسـتطيع الجـري بسرعة، ولهـا درع خارجي يمكن أن تسـتبدله كل ثلاثة أيام أو أربعـة في أثناء نموها، وعلى الرغم من صعوبة اصطيادها، فإنها تصبح سهلة التقصي عندما يتم القبض عليها بسبب غريزتها في سحب أحدها الآخر نحو الأسفل.

يستطيع السرطان عندما نضعه في وعاء قليل العمق وحيداً، أن يتسلق جدار الوعاء بسهولة ولكن إذا كان إلى جواره سرطان آخر فإنه يمد مخلبه ويسـحب السرطان المتسـلق باتجاه الأسفل قبل بلوغه الحافة، لذلك تسـتطيع أن تمـلأ الوعاء بالسرطانات

التي مهما حاولت الهرب فلن تستطيع أي منها الخروج لأنه بدلًا من أن يعزز أحدها جهد الآخر في الصعود فإنها تفعل العكس.

ولسوء الحظ فإن هذه العادة واسعة الانتشار بين أفراد الجنس البشري، بل حتى كأنها تبدو جزءاً من الطبيعة الإنسانية وتتمثل في حسد الأشخاص الذين يرتفعون فوق المستوى الذي نقف عنده ومحاولة جذبهم نحو الأسفل مادياً أو معنوياً وذلك عن طريق النقد وإطلاق الأحكام الجائرة.

حتى ضمن أسرنا، كثيراً ما يقع الأهل ضحية الفكرة القائلة: إن دور الأبوين يتمثل في التصحيح والنقد والعقاب، ونتصرف وكأن عملنا هو الحفاظ على الأطفال بمستوى واحد (هو مستوانا عادة) بدلًا من مساعدتهم على التوسع والنمو.

وعلى الرغم من أن الأبوين يريدان الأفضل لأطفالهما لكنهما يشعران بالامتعاض والاستياء والمقاومة عندما يريد الطفل تجاوز (الحافة)، عندما يحاول الطفل الخروج من صندوق الأهل إلى رحابة الدنيا، عندها يمد الأبوان مخالبهما ليعيدا الطفل إلى الصندوق ويمنعاه الخروج من الصندوق.

ينص قانون التعلم من السلطعون على أن نفعل عكس ما نفعله، أي أن نقوم بالدعم والتأكيد الإيجابي وأن نرفع المعنويات بدلًا من أن نثبطها، وأن نمتدح بدلًا من أن ننتقد، أن نركز على اصطياد الإيجابيات والمكافأة عليها بدل التركيز على اصطياد السلبيات والمعاقبة عليها.

لقد اعتدنا أن نشعر أننا بحاجة إلى أن نقوم بالتربية عندما يرتكب أولادنا خطأ ما، وكأن الأصل أنهم ملائكة لا يخطئون،

وعلينا أن نعكس الآية، بأن نشعر بواجبنا التربوي عندما يحسن الأطفال صنعاً، وعندما يتعلمون من أخطائهم فنفاجئهم بالتعزيز الإيجابي، أنا أعلم أنه نمط يصعب تغييره وأن الخروج منه أشبه بالخروج من جلدنا وأنا إذ أكتب هذه الكلمات أسترجع في ذهني المرات الكثيرة التي خالفت ما أدعوكم إليه وربما ما زلت أخالف، ولكن الأمر يستحق بذل الجهد، لذلك دعونا نتعلم من السلطعون كيف نتخلى عن درعنا وطريقة تفكيرنا الهجومية الناقدة، لنسمح لدرع ألطف بحمايتنا من أخطائنا التربوية وحماية نفسية أطفالنا الحساسة من أساليبنا القديمة الخشنة.

علينا أن نتعلم أن التعزيز هو الرد، وليس التثبيط. علينا أن نقدم الدعم والتشجيع بدلًا من تأجيج روح التنافس. علينا أن نبحث عن طرق إبداعية لبناء الثقة بالنفس عند أطفالنا بالتقدير المستمر وليس القيام بزعزعة هذه الثقة بالنقد المستمر. علينا أن نسعى بصدق لدفع أطفالنا ليتجاوزوا المستوى الذي وصلنا إليه، علينا أن نساعدهم ليصلوا إلى الحافة ويخرجوا من الصندوق، علينا أن نعالج خوفنا ووساوسنا وحمايتنا المبالغ بها والتي تضعف أبناءنا بدلًا من أن تقويهم.

علينا الكف عن محاولة ضبط أطفالنا متلبسين بفعل الأخطاء وأن نبدأ بمحاولة ضبطهم متلبسين بفعل الصواب.

علينا أن نتعلم كيف نتخلى عن قوقعاتنا القديمة الصلبة لتنمو أنفسنا الداخلية بنعومة أكبر ورقة أكثر.

ما تعلمناه آنفاً في غاية السهولة" نظرياً" ولكنه في غاية الصعوبة" عملياً" لأننا جبلنا على النقد والتصحيح والإدانة والتأديب والتأنيب والتهذيب والاستجواب والنصح الممل

والمحاضرات والمواعظ ونبرة الصوت الشديدة وتقطيبة الجبين والنظرات الجارحة ورسائل الوعيد المتنوعة، لذلك علينا أن نبذل الجهد الواعي والممارسة المستمرة لنتغلب على ميولنا الشبيهة بالسرطان وأن نمنح أطفالنا باستمرار جرعات تعزيز من الدعم والثقة التي تمكنهم وتشجعهم على استغلال إمكانياتهم كاملة.

خلاصة :

للسرطانات غريزة جذب أحدها للآخر نحو الأسفل بدلًا من دفعها نحو الأعلى، إن هذا الميل الرجعي يمنع أي سرطان من المضي صعوداً، عندما ننتقد ضمن نطاق أسرتنا، وعندما يقوم أحدنا بتثبيط الآخر والتركيز على أخطائه وعثراته، فإنا نكون كالسرطانات .

لنتذكر أن يقوم أحدنا بتعزيز الآخر .

لنتدرب على كيل المديح والمجاملات بعضنا لبعض.

ليذكر أحدنا الآخر ولنحاول دائمًا ألا نكون كالسرطانات

أن نقاوم غريزة الانتقاد ..

وأن نبذر بذرة المديح ..

وأن نتخلص من قوقعاتنا لكي ننمو ..

فإن أبينا إلا أن نكون كالسرطانات ...

فلنكن كالسرطانات الحكيمة!

السرطان الحكيم:

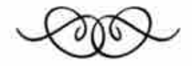
في أحد الأيام ابتعد السرطان عن البحر وأوغل في الغابة القريبة، وهناك وجد صندوقاً غريباً، وحينما ولجه أصيب بذعر شديد في بداية الأمر حيث كانت جدران الصندوق وأرضيته وسقفه كلها مصنوعة من المرايا وظن السرطان المسكين أنه قد وقع في براثن عصابة من السرطانات الشريرة التي تحيط به من كل جانب، صار يرتجف بشدة من الخوف، ولكنه سرعان ما بدأ يستوعب الموقف، وحين أدرك الأمر على حقيقته، بدأ الاطمئنان يسري إلى فؤاده، وبدأت السكينة تدب في أوصاله، وبدأ ينظر إلى نفسه للمرة الأولى في حياته، بدأ يعي ذاته ويدرك أفعاله، وما هي إلا لحظات حتى بدأ جسده يفرز مادة غريبة عرفت فيما بعد بإكسير الحكمة، لأن هذا السرطان أدرك ذاته ووجَّه وعيه نحو نفسه بدلًا من توجيهه نحو الآخرين صار سرطاناً حكيمًا وصار ملهمًا للحكمة وصار يقصده القاصدون ليتعلموا منه الحكمة، فكان يدخلهم إلى الصندوق العجيب ويعلمهم بأن الحكمة تنبع من تركيزنا على أنفسنا، على خياراتنا، على قراراتنا، على تصرفاتنا، ولقد تعلم المربون من هذا السرطان الحكيم أن يركزوا جهودهم التربوية على أنفسهم وعلى بنائهم للعلاقة الطيبة مع أبنائهم، فإن كان لابد من التركيز على الأخطاء فليكن التركيز على أخطائنا نحن بدلًا من أخطاء الآخرين، وإن كان لابد من الانتقاد فليكن الانتقاد لمهاراتنا الضامرة في التواصل مع الآخرين، وإن كنا قد اعتدنا ضبط الآخرين متلبسين بخطأ ما فلنحول مسار هذه العادة باتجاه أنفسنا ولنتعود ضبط أنفسنا متلبسين بخطأ ما ومن ثم فلنسارع إلى الاعتذار والإصلاح، وإن شعرنا بالخوف عند تجاوز أبنائنا الحافة، عند خروجهم من صندوقنا، فلنسارع بالخروج معهم فالحياة واسعة واسعة، وهي أوسع بكثير مما كنا نعتقد.



وتذكر دائماً أن الهدف الأساسي من المكافآت والهدايا المادية والمعنوية هو تقوية العلاقة وتمتين أواصر المحبة بينك وبين أبنائك

((تهادوا تحابوا))

ولئن ركزنا في المرحلة الأولى من الكتاب على أن العقاب ليس وسيلة فعالة لتغيير السلوك فنحن نركز الآن على أن الثواب كذلك ليس وسيلة فعالة لتغيير السلوك وإنما هو وسيلة فعالة لبناء الثقة وتقوية العلاقة بشكل عام مما سيؤدي بعد ذلك وبشكل غير مباشر إلى تعديل السلوك.





إعادة توجيه السلبيات

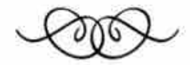
اصطياد الإيجابيات

التربية الفعالة

بناء الثقة

إعادة توجيه السلبيات

الاستراتيجية المثلى للتربية



ثالثاً. كيف نعيد توجيه السلبيات؟

-كيـف يمكـن إذن أن نتعامـل مـع التصرفـات الخاطئـة والسلوكيات غير المقبولة؟

-هنا يأتي الجزء الثالث من الاستراتيجية الفعالة و هو إعادة تحويـل السـلبيات، قـل لي: ماذا تفعل عـادةً عندمـا يخطئ أحد أبنائك؟.

-الحقيقة أني أشـعر بالانزعاج و أحياناً بالغضب الشديد و أحاول تصحيحه بأي ثمن.

-لقد سـألتك ماذا تفعل عندما يخطئ أحد أبنائك، ولكنك أجبتني بماذا تشعر عندما يخطئون والفرق شاسع بين الاثنين.

-آسـف لم أقصد ذلك بل قصدت أني عندما أكتشـف خطأً فإني أعاقب المسؤول عنه حتى لا يكرره.

-أنت تتعامل إذن مع شـخصية المخطئ وليس مع السلوك الخاطئ نفسه.

-و ما الفرق؟

-الفرق كبير يا أستاذ لأن المرء ليس هو سلوكه بالضرورة.

-الإنسان يمتلك عادةً من الخيارات و من السلوكيات و من المواقف و البدائل ما هو أكثر بكثير من ذلك السلوك الخاطئ، فلو أن ابنك مثلاً نسي كتابة وظائفه فليس معنى ذلك أنه شخص كسول، هذه معادلة غير عادلة و غير صحيحة.

المعادلة الصحيحة:

نسي الابن كتابة وظائفه = نسي الابن كتابة وظائفه

المعادلة الخاطئة:

نسي الابن كتابة وظائفه = الابن كسول

حين نفصل المرء عن سلوكه السلبي و نركز على الإيجابيات التي لديه فعندئذ يمكننا أن نوجه تلك الإيجابيات نحو ذلك السلوك الخاطئ لتعديله و تصحيحه.

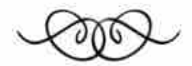
إذن عليك **أولًا**: أن تركز على الخطأ نفسه و أن تفصله عن المرء فالمرء ليس سلوكه.

ثانياً: أن تقيس درجة فداحة الخطأ، فإن كان بسيطاً فينبغي تجاوزه، لأن التركيز عليه قد يضر أكثر مما يفيد، والأفضل في هذه الحالة تجاهل الخطأ برمته وعدم التعليق عليه، وهذا يساعد كثيراً في تعزيز الثقة التي تتطلب قدراً من التسامح وتجاوز الأخطاء.

ثالثاً: أن تقيس مدى تعمد صاحب الخطأ ارتكاب خطئه فإذا كان الخطأ غير متعمد أو أن درجة التعمد خفيفة فالأفضل هو التسامح و تجاوز الخطأ.



يجب الفصل بين المرء وسلوكه



قلت: أعتقد أن هذا بديهي فأنا أيضاً أفعل ذلك، فإذا كان الخطأ بسيطاً أو غير متعمد فإني أسامح مرتكبه ولا أعاقبه. اتسعت ابتسامة المدرب وقال: ما زلت حتى الآن تركز على شخصية مرتكب الخطأ وعلى العقاب، بالإضافة إلى أنني عندما سألتك ماذا تفعل إذا أخطأ ابنك لم تذكر أنك تقيس درجة فداحة الخطأ أو درجة تعمده أليس كذلك؟ قلت: لأنني افترضت أنك تقصد خطأً من النوع الفادح والمتعمد. ابتسم المدرب ابتسامة المنتصر وقال: لقد ظفرت بك، إن مشكلتكم أيها المربون أنكم تفترضون ابتداءً أن غالبية الأخطاء من النوع الفادح والمتعمد الذي لا يمكن السكوت عنه، وتشعرون بالغضب والاستياء، وتشعرون أن عليكم أن تفعلوا شيئاً حتى قبل أن تحاولوا قياس درجة فداحة الخطأ أو تعمده، إنكم تعالجون قبل أن تشخصوا التشخيص الصحيح، وللأسف غالباً ما يكون علاجكم جراحياً باتراً، قل لي بربك: كم مرةً غضبت على أحد أبنائك أو موظفيك وتوعدت وهددت وربما عاقبت ثم تبين لك أن الشخص الذي عوقب لا علاقة له بالخطأ إطلاقاً؟ أطرقت خجلاً وأنا أتذكر بعض المرات حين كان يحدث مشاكسات بين أبنائي فأصرخ متوعداً واحداً منهم ثم أكتشف أنه ليس في البيت أو أنه نائم. قلت: أعترف أن ردود أفعالي تكون انفعاليةً في كثير من الأحيان!

رابعاً: أن تفصل بين السلوك الخاطئ والقصد الإيجابي الكامن وراءه.

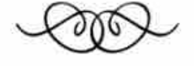
والهدف من معرفة القصد الإيجابي هو الفهم.

-الفهم، فهم ماذا؟

-فهم الدوافع الحقيقية الإيجابية التي يحاول الشخص



وراء كل سلوك قصد إيجابي



تلبيتها من خلال سلوكه الخاطئ، إن هذا الفهم هو المفتاح الرئيس لمساعدة الشخص على تحقيق هذه المقاصد الإيجابية من خلال إيجاد بدائل جيدة.

-هل يمكن أن تعطيني مثالًا؟

-بالطبع، مثلًا عندما يتشاجر أبناؤك في البيت بسبب أمور سخيفة، يكون غالباً القصد الإيجابي الكافي وراء هذا الشجار هو تلك الطاقة الهائلة التي تحتاج إلى تفريغ و التي إن لم نجد لها بدائل مثل الرياضة أو النشاطات أو الرحلات فإنها ستبحث عن سلوك سلبي تفرغ نفسها من خلاله.

والطالب الذي يتأخر عن دوامه و يعمل بتكاسل يكون القصد الإيجابي وراء ذلك هو الرغبة في التسلية والمرح، فإن لم نستطع أن نجد وسائل لتحفيز هذا الطالب فإن هذا القصد الإيجابي سيبحث عن أماكن أخرى وفرص أخرى ليتحقق فيه، و عندئذ سوف يتأخر و يتكاسل.



المرء ليس سلوكه

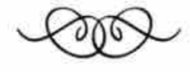
وراء كل سلوك قصد إيجابي

المرء هو مجموع مقاصده الإيجابية التي
تحاول أن تحقق نفسها بطرق صحيحة

فإن لم تجد هذه الطرق فإنها قد تضل
الطريق و تندفع بشكل سلوكيات
خاطئة

عندما نفهم القصد الإيجابي الكافي
وراء السلوك الخاطئ يمكننا أن نبحث
عن بدائل جيدة لتحقيق هذا القصد
الإيجابي.

يصر المرء على تحقيق القصد الإيجابي و لا
يصر على السلوك الخاطئ.



خامساً: عليك أن تقوّم السلوك الخاطئ بعد وضعه ضمن مجموعة السلوكيات الجيدة التي يقوم بها المرء .

لا تضخم السلوك الخاطئ حتى لا يكبر في ذهنك أكثر مما ينبغي .

فإذا تأخر ابنك يوماً فتذكر عشرات ومئات المرات التي كان فيها محافظاً على الموعد، وإن أضاع مفاتيحه يوماً فتذكر عشرات ومئات المرات التي حافظ فيها على مفاتيحه وبقية أغراضه، وإن أطعمك يوماً عنباً حامضاً فتذكر المرات الكثيرة التي أطعمك فيها أطايب الثمار والفاكهة.

سادساً : عليك بعد ذلك كله أن تحتفل بالخطأ و تفرح به .

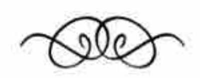
- ماذا؟! أحتفل بالخطأ و أفرح به ؟! كيف ؟!

- عليك أن تتذكر يا أستاذ أن الخبرات و المهارات التي تمتلكها الآن ، ما كنت لتحوزها لولا أنك مارستها عملياً في حياتك ، أليس كذلك؟

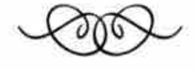
- بلى، فالممارسة هي التي تورث الخبرة و المهارة .

- ولا شك أنك في أثناء ممارستك الأولى قد ارتكبت مجموعة لا بأس بها من الأخطاء ، أليس كذلك ؟

- بلى، و من منا لا يخطئ ؟



من غلب فضله على نقصه وهب قليل نقصه لعظيم فضله.



- وفي كل مرة أخطأت فيها كنت تتعلم درساً جديداً وتمتلك جزءاً من المهارة، و لو لا تلك الأخطاء لبقيت خبرتك نظرية ولما انتفعت منها بشيء .

إن أكبر معلم للإنسان هو الأخطاء التي يقع فيها وخاصة إذا جاءه من يساعده على الاستفادة من خطئه بدلاً من أن يجعله يعيش في دوامة الشعور بالذنب والخوف من المحاولة مرة أخرى .

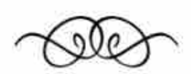
هل تعلم ما الفرق بين المدرسة والحياة ؟

في المدرسة أنت تأخذ الدروس ثم تدخل الامتحان

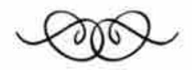
في الحياة أنت تدخل الامتحان ثم تأخذ الدروس.

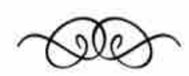
لا أحد منا يذكر كيف تعلم المشي، ولكننا جميعاً ندرك العدد الكبير الذي سقطنا فيه على الأرض و نحن نحاول أن نتعلم المشي، ولولا تلك العثرات و السقطات لما مشينا قط .

للأسف اعتدنا في المدارس أن نوزع العلامات على الإجابات الصحيحة، ودون أن ننتبه إلى أن كثيراً من الناس صار عندهم خوف من الخطأ، ومن ثم خوف من المحاولة ومن ثم عدم الوصول إلى الصواب .

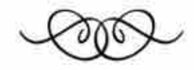


من لا يتحرك لا يخطئ و لا يتعثر لكنه يصبح عثرة في الوجود





عندما نحاول قد نخطئ وقد نصيب، عندما لا نحاول لن نخطئ ولن نصيب.



أرجو أن يأتي ذلك اليوم الذي يعي فيه المربون كيف يوزعون الدرجات وكلمات التشجيع والاستحسان على المحاولات وعلى الأخطاء وعلى الأجوبة الصحيحة.

ولا أنسى قصة صديقي العزيز أبي مصطفى الذي حدثني يوماً عما حدث بينه وبين ابنه مصطفى فكتبت له هذه المقالة بعنوان:

أريد طفلاً لا يتعثر

- كيف كانت رحلتكم يا مصطفى؟

- الحمد لله، كانت رحلة جميلة جداً يا أبي.

- هل سارت الأمور كلها على ما يرام؟

- نعم، ولكن .....مم......

- ولكن ماذا؟

- لقد ضاعت آلة التصوير.

- ضاعت آلة التصوير!!!كيف ضاعت وأين؟

- الحقيقة أنها ضاعت، أقصد سقطت مني وأنا في قلعة حلب.

- كيف؟ كيف سقطت منك؟

- كنت قد ربطتها بالحزام ويبدو أن الرباط لم يكن محكماً فسقطت دون أن أشعر.

- ولماذا لم تضعها في جيبك؟

- لأن جيبي كان مملوءاً بأشياء أخرى.

- وهل بحثتم عنها جيداً في القلعة؟

- الحقيقة لم أنتبه لسقوطها إلا بعد مغادرتنا.

- هل تدري يا مصطفى أنها المرة الثانية التي تضيع فيها الأشياء في خلال الصيف؟، في المرة الماضية أضعت جهاز MP3 وهذه المرة آلة التصوير، ومن يعلم ماذا ستضيع في المرة القادمة؟!.

- أنا آسف يا أبي لم أكن أقصد أن ....

- اسمع يا مصطفى!، هناك تفسيران لما حدث: إما أنك فعلت ذلك قصداً وإما أنك مهمل، الاحتمال الأول بعيد فلا يمكن أن تفعل ذلك عن قصد، ومن ثم فإن السبب هو الإهمال واللامبالاة وقلة الانتباه.

• يبكي مصطفى ويذهب إلى غرفته ويغلق على نفسه الباب"

قلت لأبي مصطفى بعد أن قص عليّ ما حدث:

- ماذا استفدت مما قلته له؟

- الحقيقة أشعر أني لم أستفد شيئاً بل على العكس تماماً، ولكن كان لابد أن أفعل شيئاً، لابد أن أقوم بواجبي التربوي أم أنك تريدني أن أترك الموضوع فيزداد إهمال مصطفى وتتفاقم المشكلة أكثر؟

- ابتسمت وقلت له: لا يا عزيزي، لا أريدك أن تهمل الموضوع بل أريدك أن تتصرف التصرف الصحيح الذي يوصلك إلى النتيجة التي تريدها.

- وكيف ذلك؟

- ماذا تريد من مصطفى ؟

- أريده أن يتعلم كيف يكون أكثر حرصاً وأكثر انتباهاً.

- ممتاز! أنت تريده أن يتعلم، أليس كذلك؟

- بلى.

- وهل ما فعلته ساعده على التعلم أم على الانزعاج والضيق؟ تذكر حين كنت في المدرسة هل كنت تتعلم أكثر عند المعلم الذي يلومك ويتهمك بالتقصير ويعاتبك ويوبخك عندما تخطئ، أم عند المعلم الذي كان يتقبل أخطاءك على أنها مرحلة لابد منها وأنك تستطيع أن تتعلم من أخطائك، ويأخذ بيدك ويرحمك ويشجعك ويرفع من معنوياتك؟

الآباء والأمهات والمعلمون والمربون جميعاً يريدون أن يتعلم الأطفال ويرغبون في أن يتم ذلك بسرعة، وبسبب تعجلهم ينسون بعض المبادئ والقوانين البديهية مما يؤدي إلى محاولة قطف الثمار قبل نضجها، وعندما لا يصلون إلى النتائج التي يريدونها فإنهم ينسون مرة أخرى أنهم نسوا تلك المبادئ والبديهيات، فيبدؤون بكيل الاتهامات واللوم والعتاب لهذه الفاكهة لأنها فجة ولأنها لم تنضج وكأنهم بذلك يرسلون رسالة مفادها: نحن لم نفشل كمربين ولكن الأبناء هم الذين فشلوا.

قلت مرة لإحدى الأمهات التي جاءتني في استشارة من أجل ابنها الذي يعاني من:

"تقصير دراسي، وعدم تركيز، وفرط حركة، وعدوانية، وتمرد، وعناد، ..."

وليتكم تعلمون كم كان عمر هذا الابن العاق، كان قد أنهى المرحلة الأولى من دراسته الأكاديمية في رياض الأطفال وانتقل إلى الصف الأول الابتدائي، كان عمره لم يتجاوز ست السنوات، قلت للأم: هل ترين هذا الهاتف الجوال؟ إذا اعتقدنا أن فيه عطلًا فربما نفكر في فتحه واستخدام المفكات وأدوات التصليح من أجل إصلاحه، وربما أدى ذلك إلى تخريبه تماماً من حيث نريد الإصلاح وحسن نياتنا لا يعفينا من الخراب الذي سنفعله بأيدينا، فإذا جاء أحد الخبراء وقال لنا: ماذا تفعلون؟ قلنا له: الهاتف لا يعمل ونحن نحاول إصلاحه، فقال لنا: وهل قرأتم كتيب التعليمات واستوعبتم كيف تتعاملون بذكاء مع هذا الجهاز الحساس قبل أن تبدؤوا العبث به وتخريبه؟ثم يمسك الخبير بالجهاز ويضغط بعض الأزرار فإذا به يعمل على أحسن وجه.

الطريقة التي نعرّف بها المشكلة تحدد الطريقة التي سنتعامل بها مع المشكلة

تعريف خاطئ:

الابن عدواني أو مهمل

← الضغط عليه وتهديده وعقابه.

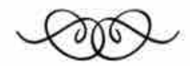
تعريف صحيح:

الابن لم يتعلم بعد مهارات التواصل ولم ينضج عنده حس المسؤولية

← الصبر على تعليمه وتركه ينمو وينضج بالتدريج.



التربية هي بلوغ الشيء تمامه بالتدريج



أنصح الآباء والأمهات والمربين أن يتذكروا الطريقة المثلى للتعلم التي يقوم بها المربون بواجبهم بأفضل شكل، تذكر كيف يتعلم الطفل كلًا من المشي والكلام. يحاول الطفل المشي فيقع مرة ومرتين وعشر وعشرين مرة فماذا يفعل الأب أو الأم؟

١. يقولون: لابد أن يقع مرات عدة حتى يتعلم التوازن.

٢. في كل مرة يقع، واجبنا أن نخفف عنه ونعطيه جرعة من المحبة والحنان ورفع المعنويات.

٣. المشي والكلام مهارتان لا يمكن تعلمهما بين عشية وضحاها ولابد من عدد من الأخطاء حتى يكتسب الطفل هذه المهارة وكلما أخطأ أكثر تعلم أكثر.

تخيلوا معي ذلك الأب الذي وقع ابنه بضع مرات، فجاء يقول له: يابني لقد وقعت في خلال هذا الأسبوع مرات عديدة وهذا يعني أنك إنسان فاشل ومهمل.

شيء مضحك أليس كذلك؟

كثير منا يعتقد خطأً أن الأبناء ينبغي ألا يخطئوا وأن يقوموا بالمطلوب منهم بشكل صحيح وننسى أن الأداء الصحيح هو ثمرة فترة طويلة من التدريب المملوء بالأخطاء والعَثرات.

أفضل طريقة لنمنع أولادنا من الوقوع في الأخطاء هو أن نمنعهم من القيام بأي شيء.

أيها المربون! إذا أخطأ الأولاد فلا تسامحوهم، لأنهم لم يفعلوا ذنباً يحتاج إلى عقوبة أو إلى مسامحة، إذا أخطأ الأولاد فهذا يعني أنهم يتعلمون، وإذا تعلم الأبناء فهل ينبغي أن نسامحهم؟!

بالعكس ينبغي أن نسَّر بهم وندعم التعلم ونشجعهم على مزيد من التعلم ومزيد من الأخطاء ومزيد من الخبرات.

دعوهم يتعثروا! ادعموهم وشجعوهم وأحبوهم..

وتذكروا أنكم أيها الكبار مازلتم تتعثرون في كل يوم ومازلتم تتعلمون في كل يوم وستبقون تتعثرون وتتعلمون طالما بقي فيكم نفس يتحرك وعين تطرف.

- فجأة أحسست بدوار لأن كلمات المدرب أحدثت دوامة في ذهني عصفت بكثير من المفاهيم التي اعتدتها وبرمجت بها واتبعتها لسنوات طويلة وكانت النتيجة متواضعة جداً، جلست ألتقط أنفاسي وأنا أشعر أن أفكاراً كثيرة قد تهاوت على الأرض، إلا أن فكرة بقيت مسيطرة على ذهني إلى حد ما، فلم أتمالك نفسي وقلت:

- كأني أفهم من كلامك أنه لا مكان للعقوبة أبداً و أنه ينبغي أن نلغي هذه الطريقة من وسائلنا التربوية ؟!

- ابتسم و قال: لا يا أستاذ، بعد كل ما شرحناه يأتي الآن والآن فقط دور العقوبة واللوم والتأنيب .

شعرت بارتياح لأني لم أكن واثقاً من استعدادي للتخلي عن فكرة العقوبة، فقلت: حسن، قل لي إذن ما أفضل الطرق لمعاقبة من تصرف تصرفاً خاطئاً، بعد استنفاد الوسائل السابقة جميعها؟.

سابعاً: عليك أن تعاقب نفسك أولًا.

تنهد المدرب تنهيدة عميقة ثم قال: الحقيقة عندما أستنفد الطرق جميعها، و أشعر بأنه لا بد من أن أعاقب، فإني أفكر أولًا

في أن أعاقب نفسي، لأني فشلت في تعليم هذا الكائن المستعد لكل أنواع تعلم السلوك الجيد على الرغم من أنه مفطور على الفضول و الاكتشاف و الرغبة في التعلم.

ولست أنسى ما حييت ذلك الدرس الذي تعلمته يوماً من أبي ـ رحمه الله ـ (و اغرورقت عينا المدرب بالدموع) ، في ذلك اليوم ارتكبت خطأ كبيراً ، حين تأخرت عن موعد مهم مع أبي بسبب انشغالي باللعب مع أصدقائي ، وحين سألني عن سبب التأخر ، خشيت أن أذكر له الحقيقة و كذبت عليه ، ولكنه كان يعلم السبب الحقيقي لتأخري ، و توقعت أن أتعرض لعقوبة قاسية وتوبيخ شديد، إلا أنه ـ رحمه الله ـ ما كان منه إلا أن نظر إلي بمحبة شديدة و قال : أعتذر منك يا بني لأني اضطررتك للكذب علي ، لابد أني تصرفت معك يوماً بطريقة جعلتك تخاف و تخشى مصارحتي ، لا بأس عليك يا بني سأعاقب نفسي اليوم بالعودة إلى البيت سيراً على الأقدام لأراجع نفسي و لأكتشف خطئي ، لا بأس عليك يا بني أنا المسؤول وليس أنت، في ذلك اليوم تعلمت عملياً معنى تحمّل المسؤولية .

وبمقدار ما تأثرت بقصة المدرب إلا أني شعرت بالإحباط، لأن العقوبة إذن لي وليس للآخرين و بصوت يائس قلت له :

- إذن ليس ثمة عقوبة للآخرين ؟

قال بابتسام : بلى، ولكنها العقوبة المقننة .



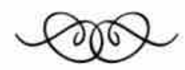
عامل أبناءك كما تحبهم أن يعاملوك

إن أردتهم أن يتعلموا الاحترام فعليك أن تحترمهم

إن أردتهم أن يتعلموا الاعتذار فعليك أن تعتذر منهم

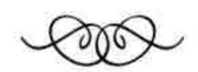
إن أردتهم أن يتعلموا الصدق فعليك أن تكون صادقاً معهم

إن أردتهم أن يتعلموا المسؤولية فاحمل المسؤولية أمامهم





قبل أن تصفع ولدك اصفع نفسك



ثامناً : العقوبة المقننة.

قلت و ما العقوبة المقننة ؟

قال : العقوبة المقننة هي اتفاقية وليست عقوبة ولكننا أسميناها عقوبة لتملأ ذلك الفراغ في عقلك بعد أن فرغناه من كل أنواع العقوبات المعتادة، فهي أذن اتفاقية اتُفِق عليها مسبقاً، معلومة الحدود و الشروط، اتفاقية لا تخل بالثقة ولا تخدش المحبة، اتفاقية يضعها المربي بالاتفاق مع من يربيهم، ويعلمون أن هذه الاتفاقية لمصلحتهم ومن المفيد جداً أن يشاركوا هم في تحديد العقوبة، والعجيب أنك عندئذ لا تضطر إلى فرض العقوبة لأن التزام المخالف سيكون طوعياً ولا بأس من تخفيف العقوبة في بداية الأمر لأنه :

ليس الهدف من العقوبة هو الانتقام من المخطئ

الهدف الحقيقي مساعدة المرء على تجاوز الخطأ

- من الأهمية بمكان أن تختار الوقت المناسب لتجلس مع ولدك، وذلك حين يكون مزاجه حسناً وتكون أنت أيضاً بحالة من الهدوء وأن تشرك ابنك في الاتفاق على النقاط التالية:

• الأهداف المرجوة.

• الإرشادات العامة.

• المصادر المتاحة.

• المحاسبة والمساءلة.

• المكافآت في حال إنجاز الاتفاقية، والعقوبات في حال التقصير.

ثم يوقع كل من الابن والأب على البنود المتفق عليها.

- ملاحظة مهمة: لا يجوز أن تجلس مع ولدك وقد جهزت الأجوبة كلها حول البنود السابقة، حتى لا يتحول الاتفاق إلى اتفاق من طرف واحد ،وتذكر دوماً أن :

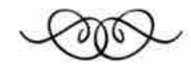
الإنسان يلتزم عادة بما يلزم به نفسه

في حين ينفر مما يفرضه عليه الآخرون

عليك أن تتذكر دائماً أن دورك هو دور المربي الذي يختلف كلياً عن دور كل من القاضي والشرطي والمحقق والسجان .



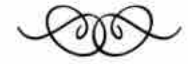
يـلتزم الإنسان بما يـلزم به نفسه
أكثر مما يـلتزم بما يـفرضه
عليه الآخرون



القاضي	يحكم على الآخرين
الشرطي	يحفظ النظام و يتتبع المجرمين
المحقق	يستجوب و يسأل و يتهم
السجان	يعاقب و يجلد



المربي
يستوعب ويعطف على الآخرين
يحفظ نفسية الطفل وعقله وقلبه وروحه ويتتبع الإيجابيات ليبني عليها
يتفهم و يعذر و يرحم ويوجه
يصبر ويصطبر



- بالله عليك هل هناك طريقة بسـيطة تلخص لي ما علمتني إياه؟.

- على الرحب والسعة، إنها طريقة تربية قي دقيقة:

وهي طريقة فعالة و بسيطة و سريعة في التربية، فإذا ارتكب ابنك خطأ ما انظر في عينيه مباشرة و أعد عليه ما فعله باختصار دون أن يأخـذ مـن وقتك إلا ثـوان معـدودات ، اشرح له خطأ سلوكه في النصف الأول من الدقيقة ثم خذ نفساً عميقاً و اشعر بالهدوء النفسي ثم انظر إلى وجهه في نصف الدقيقة الثاني بطريقة تجعله يشـعر أنك إلى جانبه و لسـت ضده و أنـك تحبه و لكنك فقـط لا تحب سـلوكه . أخبره أنه ولد طيـب وأنك راض عنه و لكنك لسـت راضياً عن سـلوكه، وأنك تتوقع منه سـلوكيات مختلفة تحقق له قصده الإيجابي، و أنك ما أنّبته إلا لأنك تحبه، ثم ضمه إلى صدرك بقوة.

والنتيجة:

- يعرف الابن أنه قد تصرف تصرفاً خاطئاً .
- يعرف الابن أنه إنسان طيب .
- يعرف الابن أنه محبوب من قبل أبويه .
- يعرف الابن أن لديه خيارات وبدائل كثيرة .

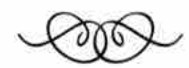
- دعني أراجع ما تعلمته منك حتى الآن :

مثلث التربية الفعالة يبدأ بكسب الثقة من خلال إزالة الخوف والإكـراه والإجبـار وغرس المحبـة غير المشروطـة والاحترام ويستمر المثلث عبر اصطياد الإيجابيات المستمر والتركيز عليها والمكافـآت، وينتهـي بإعادة تحويل السـلبيات من خلال فصل

المرء عن سلوكه السلبي ومعرفة القصد الإيجابي وإيجاد البدائل لتحقيقه وتجاوز الأخطاء البسيطة وغير المعتمدة، والاحتفال بالخطأ والتعلم منه، وإن كان لابد من العقوبة فلأعاقب نفسي أولًا ثم هناك العقوبة المقننة. هل هناك شيء آخر يمكن أن تعلمني إياه ؟

نعم، تذكر يا سيدي أن هذه الطرق الرائعة مبنية على فهم عميق لهذه النفس البشرية وقوانينها ومبادئها ولذلك هي لاتصلح مع الأبناء فحسب وإنما في أي مجال من مجالات التواصل الإنساني .

وقبل أن أنصرف سألته إن كان يريد أن يختم بقصة ما فابتسم ابتسامة عريضة ثم قال لي: دعني أروِ لك ما حدث معي البارحة حتى تعلم أن الأمر يحتاج إلى صبر وأننا كثيراً ما نتعجل النتائج.





ربُّوا واتعبوا



اتصلت بي زوجتي وهي تبكي : تعال وتصرف! لم أعد أحتمل الشجار بين الأولاد. كنت منهمكاً في عملي ولدي مواعيد مهمة ولم يكن الوقت مناسباً لحل المشاكل الأسرية وكدت أنفجر غاضباً من زوجتي كما اعتدت في السابق: "ألا يكفيني همومي وهموم العمل حتى تثقلي علّي بالمزيد ؟ أليس باستطاعتك أن تتدبري أمر شجار بسيط نشب بين الأولاد؟ إلى متى سوف أبقى مسؤولًا عن مثل هذه الأمور الصغيرة؟"

ولكني فجأة توقفت قليلًا وتذكرت العادات السبع للناس الأكثر فعالية :

تذكرت أولًا أن بين المؤثر الخارجي (اتصال زوجتي) وبين استجابتي هناك مساحة، في هذه المساحة تكمن حريتي في اختيار استجابتي، حريتي في اختيار أفكاري ومشاعري، حريتي في اختيار النتائج التي ستنتج عن ردود أفعالي .

نظرت إلى مكتبتي فرأيت علبة الكولا التي كثيراً ما أستخدمها في دوراتي واستشاراتي حيث أقوم بخضها حتى تفور ثم أسأل :لماذا فارت؟ ويكون الجواب التقليدي: لأنك خضضتها بالطبع .فأبتسم وأمسك بزجاجة الماء وأخضها وأنا أقول: ها أنا ذا أخضها فلماذا لا تفور؟ وهنا يأتي الجواب الحقيقي :لأنه ليس فيها مواد غازية.

عندما يأتينا خض خارجي فإنه سيحرك ما بداخلنا، فإن كنا مثل الماء فسنبقى محافظين على هدوئنا وتوازننا وحكمتنا ونستجيب بالطريقة التي توصلنا إلى أفضل النتائج ،أما إن كنا مثل الكولا فإن المؤثر الخارجي سيجعلنا ننفجر ونستجيب بطريقة انفعالية ونصب جام غضبنا على المؤثر الخارجي بدلًا

مـن أن نتوجـه إلى إصلاح مـا بداخلنا والتخلص مـن الأفكار السلبية الغازية التي سببت الانفجار.

ضحكـت وأنـا أتذكـر الطرفـة التي أرويهـا دائـمًا عن ذلك الرجـل الـذي ذهـب إلى الصيدليـة واشـترى صندوقـاً كاملًا من المراهم المسـكنة وذهـب إلى منزله وأخذ يدهـن درج البناء بتلك المراهم وحين اسـتغرب الناس تصرفه،أخبرهم بأنه يتبع تعليـمات الطبيب الـذي طلب منـه أن يدهن بالمراهم المسـكنة مكان السقوط الذي أصيب فيه.

أغلبنا عندما يمر بمشـكلة يدهن الـدرج بدلًا من أن يعالج نفسه

تذكرت قاعدة الـ ١٠/ ٩٠

١٠ ٪ من الحياة يتشكل من خلال ما يحدث لنا

٩٠ ٪ من الحياة يتشكل من خلال ردود أفعالنا

فنحن في الواقع ليس لدينا القدرة على التحكم بـ ١٠٪ التي تأتي من المحيط الخارجي ولكن الوضع مختلف مع الـ ٩٠٪،التي نملكها في داخلنا، وهنا فقط نحن نملك حرية الاختيار.

ضبطت نفسي وأنا أتذكر أن أول عادة من العادات السـبع للناس الأكثر فعالية هي عادة:

كن مبادراً Be Proactive

والتي تنطلق من المبدأ الأساسي في الحياة:

يمتلك الإنسان حرية الاختيار.

وأن استجاباتنا هي نتاج اختياراتنا وقراراتنا وليست نتاج الظروف.

بدأت باستخدام عضلات المبادرة التي بدأت درَّبتُها :

العضلة الأولى : وهي عضلة الوعي بالنفس بدلًا من توجيه الوعي للآخرين، وعيت أن أية ردة فعل سلبية لن تفيدني ولن تفيد عملي ولن تفيد أياً من أفراد أسرتي ، الوعي بالنفس يعني أن نوجه حواسنا التي اعتادت مراقبة الآخرين،نحو أنفسنا،نحو اختياراتنا،نحو سلوكنا،نحو نبرة صوتنا،نحو معالم وجهنا،نحو كلماتنا وألفاظنا.

العضلة الثانية : وهي عضلة الضمير، والضمير هو ذلك الصوت الخافت الذي لا نسمعه إلا إن اختلينا بأنفسنا وابتعدنا عن ضجيج الحياة،في جلسة محاسبة صادقة للنفس ومراجعة، أرشدتني عضلة الضمير إلى أن الانفعال والغضب والغيظ أخطاء كبيرة غالباً ما تكون أكبر بكثير من الخطأ الأصلي الذي نود إصلاحه وأرشدتني إلى أن ضبط النفس والهدوء والحلم وكظم الغيظ هو الصواب والحكمة وأن مفتاح ذلك كله هو الابتسام فابتسمت .

العضلة الثالثة : هي عضلة الخيال حيث بدأت أتخيل مشهدين مختلفين لهما نفس البداية، ولكن لهما نهايتان مختلفتان. لماذا؟

بسبب ردة الفعل التي أستطيع أن أختارها ..

رأيت نفسي في الأول شخصاً انفعالياً قد انتفخت أوداجه واحمر وجهه واشتدت نبرة صوته وقست ألفاظه و(دخل في الحائط) .

ورأيـت نفسي في الثاني شـخصاً مبادراً وحليـماً تعلو وجهه ابتسـامة الاطمئنـان وتقطر الحكمة مـن أمـارات وجهه ونبرة صوتـه فرأيت الفـارق الكبير وأدركت ما الـذي علي أن أعمله وهنا ساعدتني...

العضلة الرابعـة : وهي عضلة الإرادة لتنفيذ المشـهد المبادر الذي يوصلني إلى أفضل النتائج .

تذكرت العادة الثانية:

ابدأ والنهاية في ذهنك

Begin With The End In Mind

وبـدأت بتخيـل النتيجـة التي أريدهـا، وهي حل المشـكلة وإعـادة جـو الهـدوء والمحبـة إلى أسرتي الحبيبة، وبـدأت أدرك الخطـوات التي علي أن أقـوم بها من أجل تحقيـق تلك الحصيلة الرائعة .

وعندمـا تذكرت رسـالتي وأهدافي وقيمـي العليا صغرت المشكلة بشـكل مذهل حتى إنني لم أعد أشعر بأي انزعاج وإنما صار شـعوري أشبه بشـعور من يكتب رسالة ثم أخطأ في كلمة ما فبادر إلى تصحيحها بكل يسر وتابع كتابة رسالته .

ثم تذكرت العادة الثالثة :

ابدأ بالأهم قبل المهم

Put First Thing First

وتذكـرت أهمية المبادرة إلى إصلاح بعـض الأمور الصغيرة قبـل أن تتفاقم وتتحـول إلى كوارث ، وتذكـرت أن أسرتي من

ما يزعجنا ليس ما يفعله الآخرون

مهما كان ما يفعلونه

وإنما استجاباتنا لما يفعله الآخرون



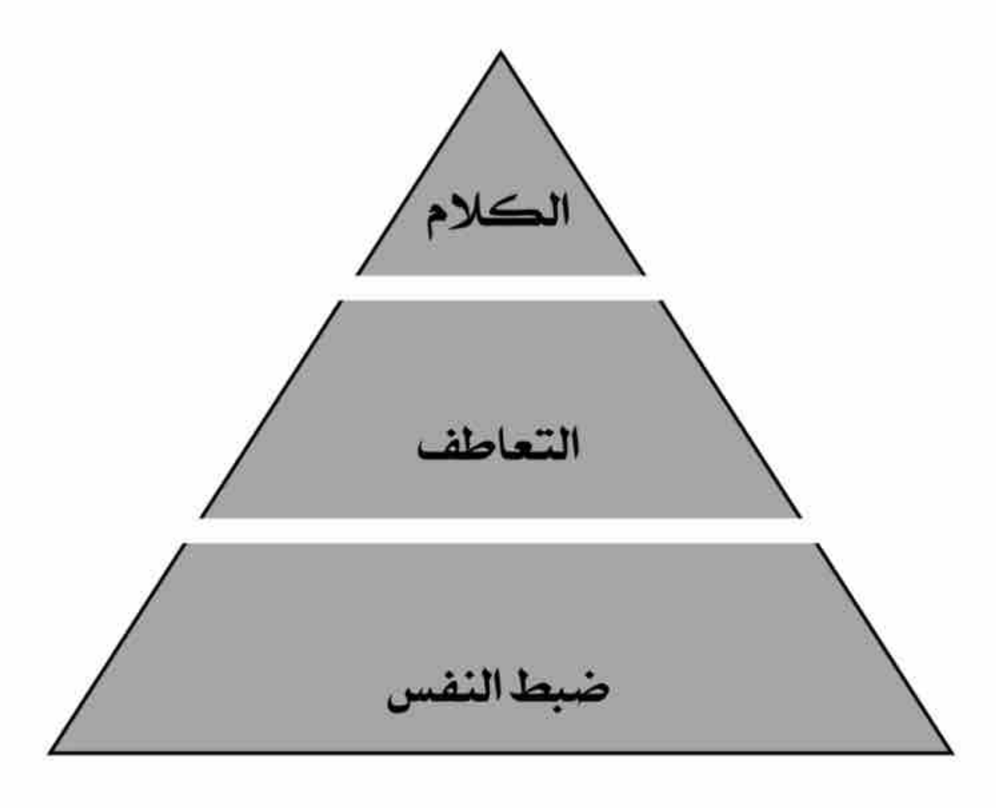
أهم أولوياتي وأنها تستحق الآن جزءاً من وقتي بشرط أن يكون هذا الوقت فعالًا فسارعت إلى منزلي القريب جداً من عملي وأنا أحدث نفسي بالخطوات الثلاث الذهبية في حل المشاكل التي تعلمتها من هرم التواصل الفعال وهذه الخطوات ينبغي أن تكون بالترتيب التالي :

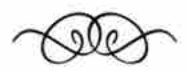
١ - ضبط النفس : كن هادئاً مبتسمًا مرتاحاً متوازناً .

٢ - التعاطف: ساعد الأطراف المتنازعة على الهدوء والراحة وضبط النفس .

٣ - الكلام : الآن يمكنك أن تبدأ الكلام والتعليم المختصر .

وهذه الخبرات الثلاث قد تبلورت لدي بعد خبرات كثيرة شعرت في كثير منها أن وجودي مثل عدمه، بل كثيراً ما كان عدم وجودي أفضل لأنني كنت أغفل الخطوتين الأوليتين .





إذا أردت أن تكلم شخصاً
فتأكد

أولاً أن الخط عندك مفتوح

وثانياً أن الخط لدى الشخص
الآخر مفتوح

عندئذ فقط يمكنك الكلام



وبينما كنت أصعد الدرج إلى البيت كنت أراجع في ذهني العادة الرابعة:

فكر بالمنفعة للجميع

Think Win Win

وقلت: علي أن أبحث عن الحل الذي يحقق مصلحة الأطراف جميعها وأنا واثق بوجود أكثر من حل يمكن أن يحقق ذلك وإن كنت لم أهتد إليها بعد وحتى أصل إلى الحل علي أن أستخدم مهارة العادة الخامسة :

حاول أن تفهم أولًا ثم أن تكون مفهوماً

Seek First To Understand

Then To Be Understood

لابد أن تفهم وجهة نظر الأطراف جميعها، وكيف أن كلًا منهم على حق من وجهة نظره وابتسمت حين تذكرت قصة جحا عندما جاءه زوج يشكو زوجته وبعد أن قص عليه القصة قال له جحا : والله معك حق، وبعد قليل جاءته الزوجة تشكو زوجها وعندما انتهت قال لها جحا : والله معك حق، فتعجبت زوجة جحا وقالت له: عجيب أمرك يا جحا! يأتيك الخصمان وتقول لكل منهما معك حق، ابتسم وقال لزوجته : والله يازوجتي العزيزة أنت أيضاً معك حق !

وبدأت أضع نفسي مكان زوجتي التي تقع عليها مسؤولية العناية بالمنزل وبأطفالها الأربعة والخامس الذي في بطنها والسادس الذي هو أنا، والتي تدرس من أجل امتحانات السنة الثالثة في قسم رياض الأطفال في التعليم المفتوح حيث

يفترض أن تتعلم كيف تتعامل مع الأطفال عموماً ومع أطفالها خصوصاً ولكن يبدو هنا صحة القاعدة التي تقول:

نظرياً ليس هناك فرق بين النظري والعملي

عملياً هناك فرق

أشفقت على زوجتي وقلت في نفسي :معها حق، ثم فكرت في أولادي أحمد ياسين ومعاذ اللذين مهما ملأت لهما وقتهما بالرياضة والعمل والنشاطات فإن هناك كثيراً من الوقت الفارغ الذي يملكان فيه طاقة كبيرة لا تجد لها منفساً إلا بالتسلي بإغاظة بعضهم بعضاً وأختيهما زاهرة وفاطمة الزهراء وأمهم وأبيهم عند اللزوم ،شعرت بمعاناتهما وقلت في نفسي :معهما حق ، ثم أخذت أفكر في زاهرة وأختها اللتين عليهما أن تتحملا غلظة أخويهما وسماجتهما دون أن تملكا أداة للدفاع عن النفس إلا بالصراخ الذي يصل إلى الجيران وأحياناً عبر الأثير يصل إلى مكتبي تذكرت جحا وقلت :وأنتما أيضاً معكما حق.

عندما نفهم وجهات النظر المختلفة ونفهم الاحتياجات الحقيقية للجميع ونؤمن أن هناك حلولًا تحقق المنفعة للجميع عندئذ يمكن أن نبدأ بالعادة السادسة :

التكاتف

Synergize

للوصول إلى الحلول الجديدة التي لم تكن على بال أي من الأطراف، للوصول إلى البديل الثالث الذي هو أفضل من البدائل الأولى المقترحة. البديل الثالث الذي يحقق منفعة الجميع وبشكل أكبر مما يتصوره أي إنسان من قبل.

وفي أثناء دخولي إلى البيت كنت أراجع العادة السابعة عادة التجديد المستمر .

اشحذ المنشار

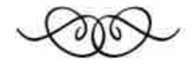
Sharpen The Saw

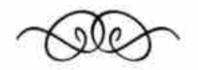
شعرت أني قصرت في إقامة التوازن المطلوب بين الأسرة والعمل، فقلت في نفسي لقد آن الأوان لنفعّل من جديد خطة التجديد الأسري، لعلنا نحتاج إلى إجازة ممتعة نعتني فيها بأسرتنا روحياً وجسدياً وذهنياً وعاطفياً .

دخلت المنزل وعلى وجهي ابتسامة عريضة تحمل كل معاني الحب التي أستشعرها في قلبي تجاه زوجتي الرائعة وأولادي المميزين وسرعان ما سرت الابتسامة إلى زوجتي وشيئاً فشيئاً بدأ يسود جو من المودة والمحبة والهدوء عززته طريقتي في الكلام التي لم تكن تحمل نبرة اللوم أو الاتهام بل كانت تحمل معاني التفهم والتقدير والاحترام للجميع وتحمل رغبة صادقة في الوصول إلى وضع أفضل للجميع وبدأ حوار هادئ يتجه نحو المستقبل نحو الخيارات اللامحدودة والبدائل الرائعة بدلًا من التركيز على الماضي، على المشكلة . وبدأت بعض الاقتراحات البسيطة من هنا وهناك، وأخذت تتفاعل لتولد خيارات أكثر نضحاً تبلورت في خطة ارتضاها الجميع واتفقنا على أن يغتنموا الساعة القادمة في شيء مفيد كالقراءة مثلًا أو إكمال لعبة قطع الـ Puzzle على أن نذهب مساء للعشاء معاً وتناول البوظة اللذيذة.

ودعتهم وعدت إلى عملي راضياً، وبينما أنا أنزل الدرج سمعت بعضاً من الصياح فابتسمت ونظرت إلى زوجتي التي ودعتني بابتسامة مماثلة وقلت لها ضاحكاً:

ربّوا واتعبوا





“من كان مرباه بالعسر و القهر

من المتعلمين أو الخدم

غلب عليه القهر

و ضاقت نفسه

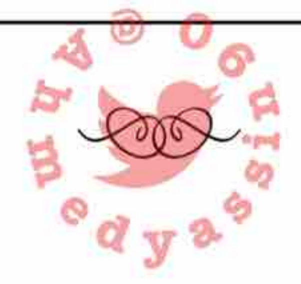
و ذهب نشاطها

و حمل على الكذب و الخبث

لانبساط الأيدي بالقهر عليه

و علمه المكر و الخديعة لذلك“

مقدمة ابن خلدون



مستخلص

كتاب في أصول التربية يقدم آراء حديثة لبناء شخصية الطفل السوية.

بدأ الكتاب بمقدمة تحدث المؤلف فيها عن أخطاء التربية مع مقارنة بين ماضيه وحاضره وملابسات ذلك، وكيف خرج من تلك الأخطاء إلى القناعة بالتربية الفعالة القائمة على ثلاث نقاط؛ بناء الثقة واصطياد الإيجابيات وإعادة توجيه السلبيات.. ثم ذكر قصة الكتاب.. وقدم نصائح.

ثم فصّل في هذه النقاط، فتحت موضوع بناء الثقة تحدث عن طريقة بنائها بإزالة الخوف، وبالكف عن محاولة التحكم، وباللعب والمرح، وبمصادقة الأولاد، وبالحب من غير شروط، وبالتفهم، وبالاحترام، وبلمسات الحنان، وبالقدوة الصالحة.

وفي نقطة اصطياد الإيجابيات، بحث في كيفية اصطياد تلك الإيجابيات.. ورأى ذلك في التركيز على الشيء المراد اصطياده، وفي الإحسان إلى الآخرين، وفي الكف عن محاولة ضبط أطفالنا متلبسين بفعل الأخطاء، وفي التخلي عن القوقعات القديمة، وفي التعزيز وترك الانتقاد وفي التركيز على النفس والذات لا على الآخرين وفي تقوية العلاقة بالآخرين ومحبتهم.

وفي النقطة الأخيرة وهي كيفية إعادة توجيه السلبيات وضعَ الخطوات اللازمة لتجاوز هذه السلبيات من أجل الخروج إلى نتائج تربوية سليمة تبني الفرد.. وذكرَ الوجه الإيجابي للسلبيات قائلاً: ليس من امرئ يخلو من نقائص نَهَبُهَا لفضائله، فضلاً عن أن السلبيات هي التي تعلم الإنسان وتبنيه إذا استفاد منها.. ومن يعمل يخطئ.. ثم ختم الكتاب بذكر نصائح ودروس مفيدة.

Abstract

This book deals with the roots of fostering and introduces new opinions as regards building an intact character for the child.

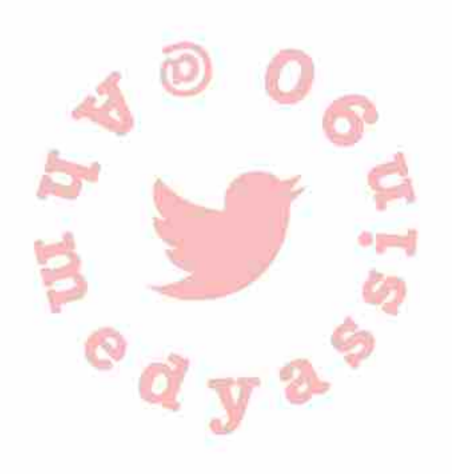
The author initiates the book by an introduction which talks about the errors committed while fostering with a comparison between his past and present, the problems lying in fostering and how the individual could get rid of those errors and have conviction in the effective fosterage which is based on three pillars: building trust, snatching the positive acts and redirecting the negative ones. Then it presents the story of the book and gives advice.

After that, he talks about those pillars in detail, and so under *"Building Trust"*, he discusses the method of building it by removing fear, refraining from trying to impose one's authority, playing, cheerfulness, making friendship with children, loving without stipulations, understanding, respect, the touches of pity and the righteous exemplar.

According to snatching the positive acts, he discusses how to exploit those positive attitudes and finds that it could be realized by highlighting the thing that should be snatched, doing good to the others, refraining from trying to catch our children when they are in the act of committing faults, free oneself from the old seclusion, enhancing and quitting criticizing, concentrating on the soul and the self rather on others and enforcing the relation with others and loving them.

As regards the last pillar [i.e., How to redirect the negativity], he lays necessary steps that warrant avoiding negative acts in order to realize intact educational results in building the individual. He also mentions the positive aspects of the negative acts saying, "Each human has shortcomings that we balance with his virtues." Moreover, negative acts themselves teach and build the human in case he attempts to benefit from them, for whoever works, he certainly errs.

He concludes the book by giving useful advice and lessons.





تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90